

الهيئة الشرعية
لجيش المجاهدين

تهمة في الدين

24/ذوالقعدة/1430هـ

تهمةٌ في الدين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

حيرة حقيقية تصاب بها حين يأتي مسلم، فيبهتك بتهمة، الله تعالى يعلم أنك بريء منها، براءة يوسف- عليه السلام- من تهمة امرأة العزيز.

وتشتد هذه الحيرة أكثر وأكثر حين تكون التهمة ممن كان مجاهدًا، فتحتار ماذا تصنع؟!

فإنك إن رددت التهمة عن نفسك، تكون قد كذَّبت من اتهمك، وهذا ما لا نحبه، وإن تركتها بعدما أشاعها تكون قد أثبت على نفسك البهتان، فماذا تصنع؟!

والحيرة تشتد أكثر حين لا تكون التهمة موجهة لفردٍ، ولا تكون في نفسه، أو حتى في عرضه، إنما في دينه وأمانته!

ولا تكون التهمة من فرد، إنما من مجلس يضم جماعات، هنا يكون عدم ردِّ التهمة تهمة، وعدم الإبراء من الأكاذيب إثباتًا للأكاذيب، وإعانة للمدَّعين، وإثباتًا للخيانة، وهو في النهاية طعنة نجلاء في قلب الجهاد.

يا إخواننا: بما أنكم لم تردوا الرد العلمي إلا بالتحقير والتجهيل واختلاق التــهم، كما يراه كل عابر على رسالتكم عبور الكرام، فإننا نجد أنفسنا مضطرين، لإحقاق الحق، أن نلجأ لأسلوب آخر غير الذي تعودناه في الردود العلمية، ردٌّ يُركِّز على التذكير بمخافة الله وما جاء في رسالتكم من نقاط علمية، سوف نردُّ عليها بالتفصيل العلمــي واحــدة واحدة، وهي نادرة جدًا.

إنَّ هذه الرسالة المسماة بـــ "**شفاء العليل في تفنيد ما نسب إلى المجلــس مــن الأباطيل**"، رسالة ذات دلالات مذهلة، تشير إلى تحول جذري جوهري رسمي جماعي في منهجية جماعات المجلس السياسي للمقاومة العراقية.

وبما أنَّ هذه الرسالة رسالة غير عادية؛ لأنها صادرة من عدة فصائل، فينبغي أن لا تمرَّ كأيِّ رسالة، ولا الجواب عليها كأيِّ جواب، ومن ثم جاء هذا البحث- الذي نحسبه- مُذكِّرًا لإخواننا، وليس بعده إلا التوبة العاجلة أو انتظار حكم الله فيمن **ظلــم وأصــرَّ** ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ (الرعد).

فإنَّ الظلم والبهتان الذي صبغت بهما رسالتهم الموسومة بـــ "شفاء العليل" مــن أمور مختلقة، جعلتنا نتساءل قائلين: أيمكن لمسلم أن يختلق هذا الاختلاق؟! أيُّ تأويل وسع هذا الكاتب وهذا المجلس حتى تمالأ، وتعاضد، وكتب، ووقَّع على هذا البهتان؟

أيُّ اغترار بالله الذي جرَّأ هؤلاء أن يقولوا هذا البهتان ثم يبقون آمنين من مكر الله تعالى وانتقامه؟

ولذا فقد رأينا قبل الدخول في تفاصيل البحث، أن نجعل بين يدي البحث موعظة شرعية، كتلك التي كان يقدمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للخصوم قبل أن يقضي بينهم.

وأملنا بربنا أن يستدرك الإخوة في المجلس السياسي خطأهم، وينصفوا الحق من أنفسهم قبل فوات الأوان وحصول الندم، ولات ساعة مندم. فعن أبي الزبير، عن جابر، قال: لما رجعت إلى رسول الله مهاجرة البحر، قال: (ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟)، قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرَّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرَّت على ركبتيها، فانكسرت قلَّتها، فلما ارتفعت، التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم، يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا.

قال: يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (صدقت. صدقت. كيف يقدِّس الله أمَّة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟)(1).

وماذا أكثر من الظلم...؟

ظلم البريء وقَذْفه ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ (النساء).

موعظةٌ عاجلة من السنة الصحيحة، فلعل مغترًا يكشف بالسنة اغتراره، ولعل موقِّعًا على هذا البحث- من غير أن يتبين- **يستعجل توبته،** ولعل مصرًّا ينفك عَقْد إصراره، فليس الإثم على من كتب فحسب، بل على من رضي ووقَّع.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له، فمن قضيتُ له بحق

(1) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠)، وأبو يعلى (٢٠٠٣)، وابن حبان (٥٠٥٨). وحسنه الألباني، وقال شعيب: صحيح لغيره.

مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليحملها أو يذرها)[1]. ورجاؤنا أن يكون ما في بحثنا هذا دافعًا لمن في المجلس أن يدفع عن نفسه قطعة النار، فإنَّ ما ورد في بحثكم من بهتان، وزور، وظلم، وإفك سوف تُسألون عنه يوم القيامة... وكلٌّ من أفرغ في هذا الحوض من دلوه، فله من كل واحدٍ من هذه الكبائر نصيب، ولا يعفيه عدم العلم، ولا إيكال الأمر لمن يثق بهم، فإن كان ذلك يعفيه فيما مضى، ففي بحثنا هذا سيعرف الحقيقة كما هي، وتقام عليه الحجة، ويتحتم اتخاذ الموقف الذي يدين الله به، وعند هذه الفقرة تصبح إكمال قراءة هذا البحث لازمة؛ لأنَّ من قرأ طرف الشهادة لزمه أن يقرأ الطرف الآخر منها الذي لم يقرأه، ولأنَّ فيها- كما نحسب- الخلاص من كبيرة من الكبائر، ولزومها لكل عضو في المجلس السياسي أساسًا، وأيُّ شيء أغلى من كلمات ربما تكون فيها النجاة؟ النجاة من البهتان بعد ما كتب ونُشر، وشهادة الزور بعدما أديت، والظلم بعدما وقع؟!

تعريف البهتان: قال المناوي: البهتان: كذب يبهت سامعه، ويدهشه، ويحيره؛ لفظاعته، وسمي بذلك؛ لأنه يبهت، أي: يسكت لتخيل صحته، ثم ينكشف عند التأمل.

وقال الكفوي: البهتان: هو الكذب الذي يبهت سامعه، أي: يدهش له ويتحير، وهو أفحش من الكذب، وإذا كان بحضرة المقول فيه كان افتراءً[2].

تعريف شهادة الزور: قال القرطبي: شهادة الزور هي الشهادة بالكذب؛ ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام أو تحريم حلال[3].

وقال الإمام الذهبي بعد أن ذكر أنها من الكبائر: شاهد الزور قد ارتكب عظائم، أحدها: الكذب والافتراء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾.

---

(1) أخرجه البخاري (٦٩٦٧)، ومسلم (١٧١٣)، ومالك (٤٤٨)، والحميدي (٢٩٦)، وأحمد ٦/٢٠٣، وأبو داود (٣٥٨٣)، والترمذي (١٣٣٩)، وابن ماجه (٢٣١٧)، والنسائي ٨/٣٣٢.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٨٤، والكليات للكفوي ١٥٤- ٢٢٦.

(3) فتح الباري ٥/ ٤٢٦.

وفي الحديث: (يُطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب)[1]. وثانيها: إنه ظَلَم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه. وثالثها: إنه ظلم الذي شهد له، بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادته، فوجبت له النار، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من قضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار)[2]. ورابعها: أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت). رواه البخاري. فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء[3].

وقال ابن حجر المكي: شهادة الزور وقبولها، **كلاهما** من الكبائر، وقد صرَّحوا بذلك في الشهادة، وقياس الثانية (أي قبول شهادة الزور) أن تكون كذلك، وحكى بعضهم الإجماع على أنَّ شهادة الزور كبيرة، ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلاً أو كثيرًا، فضلا عن هذه المفسدة القبيحة الشنيعة جدًا[4].

فنرجو من كل عضو في هذا المجلس أن يلاحظ قول ابن حجر: "شهادة الزور وقبولها"، وبذا لزم مِن كل مَن له علاقة أن ينقذ نفسه من قبولها، وذلك بردها والبراءة منها، وليلاحظ الجميع قول ابن حجر "ولا فرق بين أن يكون المشهود قليلاً أو كثيرًا".

فمن ذا الذي يحتمل هذا الوزر العظيم الكثير وليس القليل؟

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" ٥٩٣/٨، وفي "الإيمان" (٨٢)، وأحمد ٢٥٢/٥، وابن أبي عاصم في "السنة" (١١٤). قال شعيب: إسناده ضعيف. وأخرجه ابن أبي شيبة موقوفًا عن ابن مسعود في "المصنف" ٥٩٢/٨، وفي "الإيمان" (٨٠). قال شعيب: وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) سبق تخريجه ص ٣.

(3) الكبائر ص٧٩.

(4) الزواجر ص ٣٣٥ بتصرف يسير.

يا إخواننا: أيفر أحدنا من الكبائر كالزنا والخمر والسحر ونحو ذلك في حياته الماضية ثم هو يأتي إلى الجهاد ليقع في أكبر الكبائر والتي هي شهادة الزور؟!

وليعلم القارئ الكريم، أنَّ شهادة المجلس فينا غير مقبولة؛ لأنها شهادة ذي غمْـــر، وفي كتبنا ونشراتنا من الحق ما يدحضها، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، **ولا ذي غمْر**[1] **على أخيه**)[2].

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، أنه قال: قدم على عمر بن الخطاب **رجل من أهل العراق**، فقال: لقد جئتك لأمر ما له رأس، ولا ذنب، فقال عمر: ما هو؟ قال: **شهادات الزور ظهرت بأرضنا**، فقال عمر، أو قد كان ذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: والله لا يؤسر رجل في الإسلام بغير العدول[3].

اتقوا الله يا إخواننا: فوالله لو كان ظلم شبر من الأرض لجاء ذاك الظالم مطوَّقًا إلى سبع أرضين... فكيف وهو يحمل بهتانًا وكذبًا وزورًا وظلمًا في دين رجال، تعرفونهم أنتم قبل غيركم، أنهم قائمون على الجهاد والرباط، وأنهم من أبعد الناس عن مهادنة الغزاة المعتدين! كما صح في الحديث الشريف[4].

لا لن يكفي بعد الآن أن تنكر بقلبك، فردُّ الظلم واجب، واتقاء الظلـــم ودفعـــه واجب، فعن جابر بن عبد الله، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (اتقوا الظلم،

---

(1) قال أبو داود: الغمر: الحنة والشحناء. وقال ابن حجر في الفتح: (ولا ذي غمر) بكسر فسكون، أي: حقد وعداوة.

(2) أخرجه أحمد ٢/٢٠٤، وأبو داود (٣٦٠٠)، وابن ماجه (٢٣٦٦). وحسنه الألباني وشعيب. وقد نقل البغوي في "شرح السنة" ١٢٧/١٠ عن أبي عبيد قوله في تفسير الخائن: لا نراه خص به الخيانة في أمانات الناس دون ما افترض الله على عباده، وائتمنهم عليه، فمن ضيع شيئًا مما أمر الله به، أو ركب شيئًا مما نهاه الله عنه، فليس ينبغي أن يكون عدلاً؛ لأنه لزمه اسم الخيانة.

(3) أخرجه مالك في الموطأ في الأقضية ٢/ ٥٥٤.

(4) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (٤١٤١)، وأحمد ١٨٨/١.

فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح، فإنَّ الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[1].

وعن كعب بن عجرة قال: خرج إلينا رسول الله ونحن تسعة، خمسة وأربعة: أحد العددين من العرب والآخر من العجم، فقال: (اسمعوا، هل سمعتم؟ إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولست منه، وليس بواردٍ عليَّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني، وأنا منه، وهو وارد عليَّ الحوض)[2].

والتحلل واجب. فعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلَّلْه منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[3].

والإنكار على أصحاب هذا المجلس واجب، أيًّا كان موقعك من هذا المجلس صغيرًا أو كبيرًا، كل بحسبه، فعن أبي بكر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب)[4].

ولقد قلَّبنا الأمر، ونظرنا له من كل جهة؛ لعلَّنا نجد لأصحاب المجلس مساغًا لما ادعوه فينا، فلم نجد إلا افتراءً، فالافتراء يغري صاحبه ويغرّ صاحبه كما قال الله تعالى: ﴿

(1) أخرجه مسلم (٦٦٦٨)، وأحمد ٣٢٣/٣، وعبد بن حميد (١١٤٣)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٤٨٣).

(2) أخرجه أحمد ٢٤٣/٤، وعبد بن حميد (٣٧٠)، الترمذي (٢٢٥٩)، والنسائي في "الكبرى" ١٦٠/٧. قال الترمذي: صحيح غريب. وصححه الألباني وشعيب.

(3) أخرجه البخاري (٢٤٤٩)، وأحمد ٤٣٥/٢، والترمذي (٢٤١٩)، وأبو يعلى (٦٥٣٩)، وابن حبان (٧٣٦١).

(4) أخرجه أحمد ٢/١، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في "الكبرى" (١١٠٩٢). قال الترمذي: حديث صحيح. وصححه الألباني وشعيب.

﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ ولذا كان علاجه الإنذار بعذاب الله، ولذلك أعقبها الله تعالى بقوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (آل عمران).

ألا تكفي هذه الأحاديث لأن تجعل من أقدم على كتابة هذه الرسالة ووقَّع عليها أن يحاسب نفسه، وأن يتفكر في عاقبته، وأن يتوب إلى الله...؟! ألا يكفي من شهد هذا الزور أن يخاف من أن تصيبه جريرة شهادة الزور؟ ألا تكفي من انتمى للمجلس أن ينكر على أصحابه أو يتبرأ؟!

من مُنكِر إلى مُظهِر[1]:

نحن والله لا نريد أن نزوِّغ العبارة لنقلبها على الخصم، فالمجال هنا مجال جدٌّ خطير، وإنما أردنا أول ما أردنا إنقاذ المهاجمين أنفسهم، مما وقعوا فيه من المصائب، وهم لا يشعرون، هذا أولاً، أما ثانيًا: **فإنَّ أيَّ مجاهد أو قارئ لن يدرك الحقيقة ويكشف الخيط الجامع لمواضيع رسالة المجلس ما دام يتعامل معها كنقاط منفردة كما عرضها المجلس،** إنه سوف يعجزك من تتبع شبهاته، وإبطال باطله، ثم إنه باطل لا ينتهي وبهتان يتوالد، وتبقى أنت في حيرة لا تملك التصديق ولا التكذيب.

ومن ثم فإنَّ البحث الصحيح لمثل هذا الأسلوب، هو أن تجمع النقاط المبعثرة نقطة نقطة، ثم تربط بينها دون تكلف أو تعسف.

(1) المقصود أنَّ المفاوضات التي أثمرت الهدنة والصحوات كانت في عرف المجلس أولاً منكرًا ينكرون فعله، وشيئًا فشيئًا حتى أصبحت أمرًا عاديًا بل صفة ومظهرًا من مظاهرهم العامة.

فلنتأمل هذه النقاط، وكيف تناثرت في كل أجزاء بحثكم حتى غدت عند تجميعنا لها كتلاً ومظاهر سيئة، وليست نقاطًا صغيرة لا يؤبه لها، وقد جاء ردكم لينفيها وأحيانًا يبررها فإذا به يبرزها ويظهرها.

وهذا هو التحول الخطير، التحول الذي ابتدأ بإنكار المجلس، ومن قبله الجيش الإسلامي، هذه النقاط والبراءة منها؛ لأنها كانت عندهم منكرًا حين ذاك، وسنرى كيف تحولت هنا إلى نقاطٍ معتمدة، وإذا بهذه النقاط تصبح مظاهر عامة، وصبغة يصطبغ بها المجلس السياسي...

يا إخواننا: فلنتأمل جميعًا هذه النقاط، فلعلكم وقعتم وأنتم لا تشعرون! نجمعها لكم من خلال ما ذكرتموه من نقاط، الواحدة تلو الأخرى، حتى لا يبقى لأحدٍ اعتذار، فإنه من المعلوم أنَّ من يريد تهيئة الناس إلى تغيير وتبديل، وهو يتخوف في مرحلة ما من إعلان التغيير، تراه يهيئ لتغييره وتبديله بنقاط يدفعها بخفية، ويدافع عنها على استحياء، حتى يأتي الوقت الذي يراه مناسبًا، فيكشف الستر، ويعلن المستور، ويدافع عنها كمبادئ، ويفاصل عليها.

ولذا فقد كان جمع هذه النقاط المبعثرة، والربط بينها ربطًا محكمًا، لا نحسب المجلس نفسه قد توقعه، وما هو إلا من كشف حقيقة المبدأ الذي جمعها، وكشف المستقبل الذي يعدون الناس إليه، وكشف تاريخ من قال بها، وربطها بأصلها ومصدرها الشرعي، وهذا ما صنعناه من خلال النظر في هذه الرسالة المسماة بـ "شفاء العليل في تفنيد ما نسب إلى المجلس من أباطيل".

إنَّ بحث رسالة المجلس كمجموعة من الظواهر أبعد في الدلالة من بحثها كنقاط منفردة، وأحكم في الربط، وأشمل في النظرة، وأوضح في الصورة، وأظهر لما خفي. وأصل

هذه الطريقة في البحث هي قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ (محمد).

فلحن القول ليس هو القول ولا كلماته، إنما: معنى القول الرابط بين مفردات القول وجمله، وهو المعنى الجامع لذلك المعنى الذي لا يستطيع صاحبه أن يخفيه، كما قال الإمام الطبري: ولتعرفن هؤلاء المنافقين في **معنى** قولهم[1].

وقال الشيخ محي الدين زاده: لحن القول: أي أسلوبه في مخاطبتهم لك، فإنهم لا يقدرون على كتمان ما في أنفسهم؛ بل يخرجون كلامهم على **أسلوب يدل فحواه ومعناه** على فساد باطنهم[2].

فانظر لهذه الظواهر الجديدة ظاهرة ظاهرة، يا من تنتسب لهذا المجلس، ولا تشغلنك قسوة العبارة أو حدة الإشارة عن حدة التحول وخطورة المنحدر، ثم إنَّ العبرة بالثمرة المرجوة من جوابنا الفاصل، فالله سبحانه يخوف أحبابه، ويقول لهم: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾، وإننا نرجو أن يكون أكبر المنتفعين ببيان هذه الظواهر هم أنتم يا أصحاب المجلس؛ لظننا أنكم لم تتوقعوا أن يظهر المخفي بهذا الوضوح، وبهذه الكثرة من لحن مقالكم؛ بل من صريح عباراتكم، مما خطته أيديكم، راجين أن يكون انتفاعكم أوبة وعودة إلى الله، لا أن يثير محاولة جديدة موؤدة خفية **لدركٍ أسفل**.

الظاهرة الأولى: مواجهة التأصيل بالتدجيل:

حيرة حقيقية أن نكتب نحن عن موضوع الهدنة مع العدو، ونصدر كتابًا اسمه: "الجواب الكافي لمن نوى الهدنة مع العدو ظاهرًا أو خافي" أو "وصفة الصياد"، ويكون هذا

(1) جامع البيان ٢١/ ٢٢٣.

(2) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٧ /٥٩٦.

الكتاب بحثًا شرعيًا مؤصلاً من حيث نسبة الأقوال إلى أصحابها، وأدلة أصحاب كل قول، وتحقيق الأدلة صحة وضعفًا، وبيان وجوه الاستدلال، والترجيح بينها، ثم تتريلها على الواقع، مع ما يقتضيه العقل، وما يفضي إليه الحكم من مصالح ومفاسد آنية ومآلية على الأفراد وعلى البلاد، ثم يأتي مجلسكم السياسي فيعرض عن هذا البحث كله في رده عليه ويصر على فرية واحدة هي: (أنكم أنتم شاركتم في المفاوضات من قبل)، ويكرر هذا **البهتان** في أكثر من موطن:

الأول: قال المجلس السياسي: (**وما هو رأيكم إذا علمتم أنَّ قيادتكم هي أول من طرح فكرة التفاوض والجلوس مع الأمريكان قبل نهاية السنة الثانية للاحتلال في وقت لم تترجح المصلحة في ذلك فرفضت الفكرة ومع ذلك ذهب أحد مسؤوليكم المعتمدين وفاوض الأمريكان بأمر من قيادتكم في تلك الأيام فما اتهمتموه أنتم بالتلوث ولا نكلنا نحن به وما اتهمناه**).

سؤالنا الأول: لم لجأتم إلى الاتهام، و لم تردوا البحث ببحث، والدليل بالدليل؟

لِمَ لم تفعلوا ذلك، وأنتم تعلمون كيف انتشر كتابنا "وصفة الصياد" بين الفصائل وغيرها؟

وبما أنكم لم تردوا الرد العلمي، فإننا نجد أنفسنا مضطرين لإحقاق الحق أن نلجأ لأسلوب آخر لا علاقة له بالدليل الظاهر، إنما علاقته بالتخويف بالله جلَّ وعلا.

يا إخواننا: سوف يكون جوابنا على هذه التهم جوابًا غير عادي راجين منكم تحمل ثقله، والصبر إلى آخره، فلعل في آخره ثمرة.

دعونا يا أصحاب المجلس من الناس، دعونا من طلب شهادة الناس، **وتعالوا نطلب شهادة الله**، ونرضى بها، وليتحمل بعدها من خطَّت أنامله هذا البهتان، وليتحمل مَنْ وقَّع

عليها أو قرأها ورضي بها مسؤوليته أمام الله، ونحن والله الذي لا إله إلا هو راضون بحكم الله تعالى في الدنيا والآخرة، طالبين منه عفوه ولطفه وغفرانه، وسوف ننشدكم الله جلَّ في علاه عن كل فقرة من فقرات التهم التي ذكرتموها فقرة فقرة، مناشدة لا نرفعها حتى نلقى الله تعالى أو تتحللوا منها **بتوبة** صادقة.

نشدناكم الله الذي أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم أيها المجلس السياسي: هل تعلمون أننا طرحنا فكرة التفاوض، والجلوس مع الأمريكان، فضلاً أن نكون **أول** من طرحها، كما زعمتم؟

توقفوا يا إخواننا عند هذه النشدة، فإنها والله كبيرة، **وإنَّ اليهود ما استطاعوا تجاوزها حين نشدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما جاء في الحديث** عن البراء قال: مرَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيهودي محمم مجلود، فدعاهم فقال: وهكذا تجدون حدَّ الزاني؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، قال له: (نشدتكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟)، **فقال**: **اللهم لا**، **ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك**، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم...)[1].

نشدناكم الله: هل هذا الذي ذكرتموه وقع يومًا من الأيام؟ هل نحن عرضنا يومًا من الأيام مثل هذه الفكرة؟

وهل حين رُفضت الفكرة، ذهب أحد مسؤولينا المعتمدين، وفاوض الأمريكان بأمر قيادتنا، كما زعمتم؟

أما نحن فإنا نشهد الله على ما نقول أنَّ ذلك لم يقع، وأنه بهتان لم نعرفه، ولم نسمع به، والله على ما نقول شهيد.

---

(1) أخرجه مسلم (٤٤٥٩)، وأحمد ٢٨٦/٤، وأبو داود (٤٤٤٧)، وابن ماجه (٢٣٢٧)، والنسائي في "الكبرى" (٧١٨٠).

فهاتوا شهادتكم أمام الله لا أمام خلقه، إن كنتم صادقين.

أما الذهاب إلى مصر، فنحن نعلم أننا لو تخطينا هذه النقطة الآن لـــذهبت فيهـــا الظنون مذهبًا بعيدًا، فربما ظن البعض أننا ذهبنا إلى هناك لنتفاوض مع الأمريكان، وربمـــا وربما، وهذه هي غاية هذا الإيحاء وترْكه مفتوحًا على كل الظنون!

ولكي يقطع هذا الموضوع وتحرق أذياله، فإننا عندما كنا في المجلـــس الـــسياسي، طُلب منا أن نلتقي بمصر ورجلٍ له صلة بإحدى المنظمات، قيل لنا: إنه مُتعاطف مع أهل السنة وقد يُساعد في خدمات إغاثية لهم، واللقاء- شهد الله العظيم- ليس له علاقة إطلاقًا بموضوع التفاوض، كما أوهمتم القراء، **وإنما كان الاتفاق أن نعرض علـــيهم مـــساعدة عوام أهل السنة المتضررين،** باعتبار العداء الموجود بين مصر وإيران التي تدعم الرافـــضة دعمًا غير محدود، أي بمعنى تقاطع المصالح، وقبل موافقتنا على اللقاء استشرنا أحد العلماء الأفاضل، فقال: "حضوركم ضروري لأنَّ ثقتنا بمن معكم من الفصائل فيهـــا ضـــعف". ونؤكد على مسألة الهدف من اللقاء، وقد كنا قرأنا كلامًا لأهل العلم يجيزون فيه قبـــول المال من الكفار إذا كان غير مشروط، والمال كما أسلفنا لعوام أهل السنة المتضررين.

وقد ناقش هذه المسألة بالتفصيل الدكتور أحمد الحربي في رسالته للدكتوراه مـــن جامعة أم القرى بمكة "التمويل الأجنبي وموقف الإسلام منه"، فتكلم عن حكم اســـتمناح الدول الكافرة، وحكم منح المنظمات، فقال عن المسألة الأولى ص٤٨١: (يمكن القول أنَّ حكم طلب المنح من الدول الكافرة في هذا العصر **مربوط بالشروط المرافقة للمنحة،** فإذا اشتملت هذه الشروط على أمر محرم- ويبدو لي أنَّ ذلك هو الغالب- حرمـــت المنحـــة؛ لأنها أصبحت ثمنًا لقبول الباطل ورفض الحق، **وإذا كانت تلك الشروط من قبيل تبادل المصالح الدنيوية غير المحرمة جازت المنحة، إذا دعت إلى ذلك الحاجة،** والله أعلم).

وقال عن المسألة الثانية ص٤٨٥: (وبالنسبة لأموال المنظمات متعددة الأطراف في هذا العصر، فالظاهر أنَّ الحلال فيها أكثر من الحرام، لذا يجوز قبول منح هذه المنظمات، والورع تركها. وإذا لم يتضح مقدار الحلال من الحرام في أموال هذه المنظمات، فتبقى على الأصل، وهو الحل، فأموال هذه المنظمات مملوكة لدول كافرة وأخرى مسلمة، **والأصل في قبول منح الكفار والمسلمين الجواز**. ولكن ربما يأتي التحريم من باب الشروط المرافقة لهذه المنح). انتهى كلامه.

ومسألة الاستفادة من تقاطع المصالح لا حرج فيها بالضوابط الشرعية، يقول الإمام الحافظ ابن حجر: ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارًا على غيرهم، ولا يُعدُّ ذلك من موالاة الكفار ولا موادة أعداء الله؛ بل من قبيل استخدامهم، وتقليل شوكة جمعهم، وإنكاء بعضهم ببعض[1].اهـ.

وقد ذكر الشيخ أبو يحيى الليبي عن الشيخ أبي الليث الليبي، أنه سأل أحد العلماء المعاصرين الأجلاء عن حكم الاستعانة بأجهزة بعض الدول المرتدة في بعض الحالات الجزئية فجوَّز له ذلك بثلاثة شروط، ونص الفتوى: "لا حرج في التعامل معهم لتحصيل المصالح، لاسيما في هذا الوقت الذي قلَّ فيه الناصر، وتنامى فيه المخذلون، وذلك بشروط:

الأول: أن تأمنوا غدرهم، أو تكونوا على حذر بحيث لو صارت خيانة لا تتجاوز موقعها.

الثاني: أن تكون المصلحة راجحة على المفسدة.

الثالثة: أن تنتهي بانتهاء مصالحهم"[2].اهـ.

(1) فتح الباري ٥/٣٣٨.

(2) المورد العذب لبيان حكم الاستعانة بالكفار في الحرب للشيخ أبي يحيى الليبي ص ٦٧-٦٨.

وقد اجتهدنا في هذه المسألة بناء على كلام أهل العلم هذا، **فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان**. ولم يترتب على هذا اللقاء أيٌّ شيء، ولم يتكرر.

وحكمنا الشرعي فيمن لا يُحكِّم شريعة الله جلَّ وعلا واضح ومبيَّن في كتابنا "الحاسم". وقد تعلمنا من هذا اللقاء أمورًا كثيرة منها: أنَّ جلَّ من ينتسب إلى السنة من الحكومات- والإسلام والسنة منهم براء- لا يُنتظر منهم أيُّ خير حتى في المسائل التي لا تهدد عروشهم كالمسائل الإغاثية التي قد يتعاطف معها أحيانًا بعض النصارى.

ونحن نعود لننشدكم الله- ويكفينا الله يا قادة المجلس-: ألم نجلس مع بعضكم ساعات طويلة في أيام عديدة محاولين أن نثنيكم عن فكرة الجلوس مع الأمريكان، والذي أثمر الصحوات فيما بعد...؟! فكيف نكون نحن أصحاب الفكرة؟

ألم تستطيعوا أن تحتجوا علينا يومذاك، بقولكم: كيف تنهوننا عن شيء وتفعلونه؟! فلم لم تفعلوا؟

نحن نعلم أنَّ البعض سوف يذهل أمام هذه النشدة العظيمة بالله العلي العظيم، أما البعض الآخر **ممن قست قلوبهم**، فسوف يُجرِّئون الخائفين على عاقبة النشدة في الدنيا والآخرة ليجعلوهم يتقاحمون حرمات الله وحرمة أسمائه وعظمتها، وسوف يتقدم ذاك الجريء ويقتحم حرمة النشدة، كما تقدم عاقر الناقة، ومعه التسعة، فيتقاحم الهالكون وراءه... أما نحن، فإنا والله ننذركم بهذا، وقلوبنا ترتجف تعظيمًا لله جل جلاله، خوفًا من أن يجترئ مجترئ عليها، فاللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

الثانية: قال المجلس: (**ثم ألم يكن ممثلكم حاضرًا في اللجنة الثلاثية التي تشكلت للتفاوض مع الأمريكان في الرمادي (وكانت حول الرمادي حصرًا) في بدايات عام**

٢٠٠٥ بتفويض من قيادتكم وتوقيع منها على شروط ومطالب التفاوض المحفوظة لدينا إلى اليوم).

فدعونا من الناس، وتعالوا اشهدوا شهادة تسألون عنها يوم يجمـع الله الأولـين والآخرين في صعيد واحد: هل كان لنا ممثل أو منـدوب جلـس مـع الأمريكـان في مفاوضات الرمادي؟!

وكفانا بالله شهيدًا.

اللهم إنك تعلم- وكفانا بك عليمًا وناصرًا ومعينًا- أننا ما حضرنا، ولا أرسـلنا أحدًا عنا، ولا عرَّضنا في كلامنا هذا، أو وارينا عنه بكلام آخر.

الثالث: قال المجلس السياسي: (كما أنَّ قيادتكم صرحت في جلسة خاصة قبل سنتين!!! بأنَّ التفاوض مع الأمريكان أمر في غاية الأهمية ينبغي أن نعكف عليه ونديره إدارة جيدة لاستحصال حقوق المجاهدين والناس من العدو إلا أنَّ قيادتكم تخشى البوح بمثل هذه الأفكار لأنها تعلم أنَّ أفرادها لا زالوا على غير المستوى المطلوب من النضج وفهم الواقع وما ينبغي له من برامج سياسية تترافق مع العسكرية والمجلس السياسي لم يخف أمر المفاوضات لما سئل عنا لأنه لا يرى غضاضة في ذلك رضي من رضي وأبى من أبى). اهـ.

يا أيها المجلس: ناشدتكم الله الذي يعلم السر وأخفى: أليس هذا اختلاق.. الله يشهد أنه كذلك. وإني والله أحذركم الاتصاف بمن استهانوا بعلم الله، فيلحقكم الله بهم يوم يحشر الناس أزواجًا حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (فصلت: ٢٢).

وهل حقًا قيادتنا صرَّحت؟

أين صرَّحت؟ هل من تسجيل؟ هل من كتاب؟

أما إذا انعدمت الإثباتات، فإنَّ شهادة الخصوم تسقط، وقد سبق حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تقبل شهادة خائن ولا خائنة، **ولا ذي غمر على أخيه**).

وهنا نعود لننشدكم الله الذي لا إله إلا هو: هل هذا حق؟ أجيبوا نشدناكم بالله؟ أما نحن فنقول دون تردد أو تعريض أو تورية: **لا والله لم يسجله أحد، ولا قلم الكرام الكاتبين؛ لأننا والله الذي لا إله إلا هو- نحلف غير حانثين- ما صرحنا ولا قلنا ولا رضينا عن هذا.**

الرابعة: أما قولهم: (**نعم أوكل المجلس إلى الوسيط أمر مفاتحة جميع الفصائل المهمة التي يعتقد أنها متقاربة معه في النظرة السياسية وقد فعل الوسيط ذلك وبضمنهم أنتم من خلال ممثلكم المعروف وقال الوسيط أن موقفكم إيجابي ولكن لازالت الحوارات معهم جارية. أما قول أمين المجلس (ربما لن يعترض أحد على هذه المطالب) ذلك لظنه أنه لن يأتي أحد بأكثر من مثل هذه المطالب من مثل هذا العدو المتعجرف**).

أيها المجلس: اتقوا الله، ولا تلبسوا على الناس، فأنتم أول من يعرف موقفنا في مثل هذه القضايا، ولا تتركوا المحكم من أقوالنا وكتبنا ومواقفنا وإنكارنا عليكم، فإنَّ الله سائلنا جميعًا يوم القيامة.

نسألكم بالله أن لا تتجاوزوا هذه النقاط أو العقبات حتى تبرأوا فيها ذمتكم، وتقدموا فيها لله عذركم، فكأنْ قدْ رحل بعضكم يتبعه البعض ورحلنا، واختصمنا بين يدي من لا تخفى منا عليه خافية، ولا يمرُّ عليه تعريض بالكلام ولا تورية، والله يحكم لا معقب لحكمه وهو أسرع الحاسبين.

أيها المجلس: تريدون شيئًا تظفرون به من خلال اللحن في الحجة؟

عن أم سلمة زوج النبي، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: (إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليحملها أو يذرها)[1].

لقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذهب بابه، وما بقي إلا باب الله وحكم الله، وقضاء الله الذي ننتظر، فمن شاء أن يؤجل الفصل إلى يوم الوقوف بين يدي الله فليفعل، ومن شاء أن يتحلل فليفعل. أما الصحابيان اللذان اختصما فلم يغادرا موضعها خطوة حتى تحللا، فقد جاء في السنة أنَّ رجلين من الأنصار اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواريث بينهما قد درست، ليس بينهما بينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فإني أقضي بينكم نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسطامًا في عنقه يوم القيامة، فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما: **حقي لأخي**، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم: أما إذا قلتما فاذهبا ثم توخيا الحق ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه)[2].

من شاء أن يؤجِّل وراثة إفكه في خطِّه أو قوله فليفعل، ومن شاء أن يستغفر ويتبرأ فليفعل، فالله سبحانه قال: ﴿ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ٨٠ ﴾ (مريم).

(1) سبق تخريجه ص٣.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/٢٣٣-٢٣٤، وأحمد (٦/٣٢٠)، وأبو داود (٣٥٨٤) و (٣٥٨٥)، وأبو يعلى (٦٨٩٧)، وابن الجارود في "المنتقى" (١٠٠٠)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٤/١٥٥، وفي "شرح مشكل الآثار (٧٦٠)، والدار قطني ٤/٢٣٨و٢٣٩، والحاكم ٤/٩٥ والبيهقي في "السنن" ٦/٦٦، والبغوي في "شرح السنة" (٢٥٠٨). وحسنه الألباني وشعيب. والحديث بدون القصة صحيح وقد سبق.

ولا تغرن العاقل جمعته، ولا بطانته، ولا مصدِّقيه على كذبه، فالله يقول: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾.

وبعد هذه المناشدة بالله، التي أسأل الله أن لا يغفل عنها كل واحدٍ في المجلس السياسي هذا، وفي خارجه ممن رضي بهذا التوجه وهذا البيان، في كل كلمة قالها، وفي كل حقيقة يعلمها وكتمها، أو شهادة عرفها وأعرض عنها أو لوى بها لسانه أو حرَّفها أن يتذكر قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ (المائدة). وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾ (النساء).

نقول بعد هذا كله: نريد أن نفرض افتراضًا صحة ما تقولون، وأننا فعلاً كنا ممن ينادي بالمفاوضات، وأننا شاركنا فيها، وأننا كنا أصحاب فكرتها الأولى! -والله يشهد أنَّ ذلك اختلاق- نقول: افرضوا أنَّ ذلك وقع فعلاً، **أفلم تقولوا أنتم في هذا البحث في أكثر من موطن كما مرَّ معنا أننا كنا مثلكم بالدعوة للتفاوض لكننا غيَّرنا؟! أليست هذه شهادتكم الواضحة لنا على التغيير؟!**

فأيُّ حجة بقيت لكم علينا بعد هذا؟ وهل الإفلاس إلا هذا؟

ثم أي مؤاخذة لكم على شخص أخطأ من قبل- كما زعمتم ذلك عنا- على مواصلتكم الخطأ واستمراركم عليه؟ **إنه منهج فرعون** الذي احتج بفعل موسى عليه

السلام السابق عليه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ ﴾، فهل لفرعون حجة برد رسالة موسى لأنَّ موسى عليه السلام قد قتل رجلاً، وهل لفرعون حجة باستمرار ظلمه وقتله؛ لأنَّ موسى عليه السلام قتل؟ كل ذلك نسفه موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ (الشعراء)، وهذه هي الشجاعة التي تزيل احتجاج الظالم بالفعل الخطأ، وهي الحقيقة الواضحة التي تقطع ظنَّ الخصم السيء وهواجسه، والاعتراف الذي يعيد الداعية المخطئ المتبرئ من خطئه من موقف الدفاع إلى الهجوم، ومن الضعف إلى القوة.

ولئلا يقتطع أحد جزء عبارة ظانًّا أننا أثبتنا ما ذكروه، فإننا نعيد القسم بالله العلي الأعلى أنَّ ذلك لم يكن على الإطلاق، ولو فعلنا لقلنا واقتدينا بموسى عليه السلام، وليس في ذلك أي غضاضة، كيف والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعائشة رضي الله عنها في أخطر تهمة: (وإنْ كُنتِ أَلمْتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتُوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنبِهِ ثمَّ تابَ تابَ اللهُ عليه)[1].

فأي حجة بقيت لكم يا أصحاب المجلس علينا؟

ليس منهج **المعايرة بسوابق الخطأ** منهجًا فرعونيًا فحسب، ولكنه منهج **الخاطئات**، وكل من تصاحبوا يومًا على خطيئة، فما إن يتوب أحدهم من ذلك الخطأ حتى يأتي صحبه المصرون يعيرونه بما سلف، ومع هذا فإنه والله ما سلف منا ما ذكروه عنا.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أنَّ مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وكان رجلاً شديدًا، وكان يحمل الأسارى من مكة إلى المدينة، قال: فدعوت رجلاً لأحمله، وكان بمكة **بغيٌّ**، يقال لها: عناق، وكانت صديقته، خرجت فرأت سوادي في ظلِّ الحائط، فقالت:

(1) أخرجه البخاري (٢٦٠٩).

من هذا؟ مرثد؟ مرحبًا وأهلاً يا مرثد، انطلق الليلة **فبت عندنا** في الرحل، قلت: يا عناق، إنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم **حرَّم الزنا**. قالت: يا أهل الخيام، هذا الدُّلْـــدُلُ، هذا الذي يحمل أُسراءكم من مكة إلى المدينة. فسلكت الخندمة، فطلبني ثمانية، فجـــاؤوا حتى قاموا على رأسي فبالوا، فطار بولهم عليَّ، وأعماهم الله عني، فجئـــت إلى صـــاحبي فحملته، فلما انتهيت به إلى الأراك، فككت عنه كبله، فجئت إلى رسول الله صـــلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: يا رسول الله، أنكح عناق؟ فسكت عني، فترلـــت: ﴿ **وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٌ** ﴾ فدعانِي فقرأها عليَّ، وقال: (لا تنكحها)[1].

عياذًا بالله من **منهج عناق ومنهج فرعون**، ولو أننا وافقناكم على ذلك، لكانت لنا سعة في حجة موسى- عليه السلام- القاصمة، وصراحة مرثـــد- رضـــي الله عنـــه- الحاسمة.

وأما كون المتحدث الرسمي باسم المجلس يومذاك منا، وأننا كنا أعـــضاء في هـــذا المجلس، فهذا أمر غير خاف على أحد؛ لأنَّ مشاركتنا كانت علنية، واسمنا من الأسماء التي أعلنت، وعليها توقيعنا، وما كان في المجلس بحمد الله يوم كنا فيه أحدٌ يجرؤ أن يـــشارك **باسم المجلس** أو يصرح أو يعلن مفاوضات أو نحوها مع العـــدو، لكننـــا لمـــا اكتـــشفنا مفاوضات أفراد منكم في الخفاء، والتي أثمرت هدنـــة وصـــحوات في بعـــض المنـــاطق، ناصحناكم مرارًا، وبشهود تعرفوهم، والله يعلمهم، وناصحناكم منفردين، والله شـــهيد على ذلك، فأنكرتم وجود ذلك، ثم بعد ذلك قلتم إنها تصرفات شخصية، وتبين لنا لاحقًا أنكم مخادعون، وواصلتم الطريق نحو الهاوية، فلم نجد أنَّ النصح مجدٍ، وأنكم مواصلون أيًا كان الثمن، عندها أعلنا براءتنا لله وحده، وانفصلنا من المجلس، وأصدرنا كتابنا الذي رآه الخلق وهو "**عباد الله..تمايزوا**". وإنَّ من يريد الإنصاف منكم أيها المجلس ســيقول عـــن

---

(1) أخرجه أبو داود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي ٦/٦٦. قال الترمذي: حسن غريب. وحسنه الألباني وشعيب.

انسحابنا بعد تلك المترلة المرموقة التي كانت لنا في المجلس- كما تقولون- أنها إن دلت على شيء، فإنما تدل على أننا لم نبال بتلك المترلة، ولا الخسائر بالانسحاب، حين تخلينا عن المجلس برمته... وهو حجة على كل من بقي: أن أنقذوا أنفسكم، وآثروا دينكم على دنياكم، والفضل لله وحدة.

يا أصحاب المجلس السياسي: لو أنكم تركتم هذا الأسلوب، ولجأتم للتأصيل المنصف، ونشرتم بحثًا شرعيًا تردون فيه على بحثنا، فلربما عرفتم الحق قبل أن تتموا البحث، وعدتم إليه من غير حاجة لردكم وافترائكم.

الظاهرة الثانية: الإعراض عن اتباع الحق بالطعن الشخصي:

هذه ظاهرة طافحة على رد المجلس السياسي المسمى بـ"شفاء العليل"، ولعل ما فيه من "شفاء العليل" إنما يجري على منهج من قال في الخمرة: (وداوني بالتي كانت هي الداء)، وإلا فأين الشفاء؟ **عياذًا بالله من عليل دواؤه الكذب**، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: (إنَّ اللَّه تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليها)[1].

لقد تكرر الوقوع بالطعون الشخصية في نقاط مبعثرة في البحث حتى غدت عند تجميعها ظاهرة من مظاهر ردكم في مقابل الإقرارات الضمنية بالحق الذي نقول، وهذا منهج خطير.

لو عاد أصحاب المجلس إلى سلف هذا المنهج- منهج ترك الجواب على الأدلة إلى الطعون الشخصية- لأنِفُوا أن يتخذوه منهجًا، ولو لم يرفعوا شعاره علانية، فهو منهج أعداء الأنبياء الذين لَّما لم يجدوا على الأنبياء مأخذًا ولم يقاوموا لهم دليلاً، لجأوا للطعن

(1) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الأشربة، والحاكم (٧٥٠٩)، والبيهقي ٥/١٠، والطبراني ٣٤٥/٩. قال الألباني في "غاية المرام": صحيح موقوفًا.

فيهم شخصيًا، فتراهم يقولون: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (المؤمنون). ويقولون: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المؤمنون). وقالوا: ﴿ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ (سبأ). وقالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ (الزخرف).

ونحن لا نتحدث عن كوننا كالأنبياء وإخواننا كالمشركين، عياذًا بالله من هذا الفهم، ولكننا نتحدث عن منهج خاطيء، اتبعه المشركون من قبل، وما ذكره الله سبحانه وتعالى إلا لحكمة بالغة، منها عدم التشبه بهم في هذا المنهج الخلقي أو الخلق المنهجي.

ولقد أغرق المجلس بتحويل هذه المسألة إلى موضوع شخصي مع أنَّ ما قلناه في بحوثنا، قد شهده الناس كافة، وما هي إلا بحوث شرعية علمية واضحة كبحث "وصفة الصياد" أو "الجواب الكافي لمن نوى الهدنة مع العدو ظاهرًا أوخافي" وكتاب "الحاسم" ورسالة "عباد الله تمايزوا"، و"من يغسل العار عن العشيرة" وغيرها... فيا إخواننا: هل رأيتم فيها هجومًا شخصيًا؟ لكن استمعوا في مقابل ذلك إلى هذه النقاط المبعثرة في رسالتكم، كيف ولدت ظاهرة خفية عندكم:

النقطة الأولى: ما ختم به المجلس السياسي رسالته (**نحن ننصحك أن تتواضع لله وأن تعرف قدر نفسك وأن يكون عملك مطابقًا بقولك بل المترجم الحقيقي لصدقك وأن لا تفتري على الناس وتخونهم وتقولهم ما لم يقولوا وتنقب عن قلوبهم وتتهم نياتهم وتخاطبهم بصفتك القديس المعصوم الحريص المتباكي على مصالح الأمة الكبرى وغيرك مضيع للمصالح متخل عن الجهاد مختزل له خائن متسلق من أجل مصالح فئوية وهو يدعو إلى النار وأنت تدعو إلى الجنة.**

والله إن هذا لهو العُجب الذي لهانا عنه رسولنا الكريم بل هو الكبر (بطر الحق وغمط الناس) فتب إلى الله وذب عن عرض إخوانك ولا تبهتهم قبل أن يكونوا خصماءك بين يدي الله يوم القيامة فيأخذون من حسناتك (يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم) (الشعراء ٨٩).اهـ.

ونقول: إنَّ من إخراج الإنكار عن موضوعه تصويره على أنه خلاف شخصي، فهذا الأسلوب يجعل كل فرد يتساءل لم يحيد هؤلاء عن الجواب على الحجج العلمية إلى الطعون الشخصية؟ هل لو قدروا على الجواب لسكتوا؟ إنَّ في ذلك محاولة لتتفيه غاية الإنكار، وتتفيه الآمرين الناهيين، وفيه مغالبة للحق باللغو فيه، من باب ﴿ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ ﴾، وفيه تهييج من لا يعلم بالباطل على من يعلم، وفيه إدامة البقاء على المكاسب المرتبطة بطريقهم، طريق الباطل، وفيها محاولة إنزال أهل العلم والحق إلى المستوى الهابط؛ ليقضى عليهم حين يستوون جميعًا.

النقطة الثانية: وكم أوغلتم بتصوير موقفنا بالشخصية الحاقدة عليكم، بل حتى على الجهاد، فقلتم عنا بأننا ممن:(يفرح بزواله وتنكيس أعلامه). لقد وصف الله سبحانه الكافرين بالفرح في هزيمة المؤمنين، والفرح بالتخلف عن الجهاد في سبيل الله، فاللهم اشهد بأننا لا نفرح بتنكيس أعلام دينك؛ بل نفرح برفعة دينك في كل مكان وكل زمان على أيدينا أو على أيدي إخواننا الآخرين.

النقطة الثالثة: وهي تشير إلى أيِّ مدى بلغت محاولات المجلس بتصويره على أنه خلاف شخصي حتى اتهمنا بالحسد، والعجب أنَّ تهمة الحسد تكررت في بيان الجيش الإسلامي وبيان المجلس السياسي!!

إن صح قولكم بأننا نحسدكم فهذه أول مرة سيسجل فيها أهل التاريخ والسير أنَّ أهل الجهاد والراغبين في الله والدار الآخرة- نحسب إخواننا كذلك، ولا نزكي على الله أحدًا- يحسدون أهل الدنيا على دنياهم...!

بالله عليكم: ما الذي يحول بيننا وبين الدنيا وهي مبذولة تحت أرجلنا؟

هل السقوط نعمة حتى نحسدكم عليها...؟

بالله عليكم أليس الجميع يعلم بأنَّ العدو يتمنى لو أننا وافقنا على المفاوضات التي تتهموننا بحسدكم عليها؟

ألسنا قادرين على أخذها من مصدرها، فعلى أيِّ شيء نحسدكم؟

إنَّ العدو يتمنى أمنية أن يشارك أيُّ مجاهد في مفاوضات، أو يعطيه أملاً بذلك، وإن عَرْضه هذا ما زحزحنا عودًا عن المبدأ؟ بل والله كل عرض يأتينا بطرقهم المختلفة يزيدنا رسوخًا بثمرة الجهاد؛ لأنه ما جاء إلا بالإصرار على الجهاد، وأننا كلما ازددنا منه ازداد العدو ذلاً وعذابًا وخزيًا، وازددنا عزًا ونصرًا... ذلك موعود الله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ (التوبة).

ما الذي يمنعنا من ذلك، وقد عرض علينا بكل طريق وباسم مسؤولين كبار في مواطن مختلفة، فما أعطيناه أملاً بذلك، إنما هو حسم المسألة من أولها، وبتها من جذورها؛ فعلى أيَّ شيء نحسدكم يا مساكين؟!

فإذا كنتم تظنون أنا نحسدكم على ذلك فعلاً، فلتهنأوا بالدنيا التي عرضت عليكم، ولتأكلوا الثمار اليانعات من شجرة المفاوضات.

الظاهرة الثالثة: الإعراض بالتجهيل بدل الحوار وذكر الدليل:

أما صورة إعراض المجلس عن اتباع الحق بتجهيلنا، فقد تكررت كثيرًا، مثل قولهم: (**وهذه دندنة الجهلة واستعارة لمصطلحاتهم**)، وقولهم: (**جريمة التفاوض مصطلح ما سمعنا به في كتب أهل العلم وما قرأناه إلا عند من لم يشم رائحة العلم من الأدباء والصحفيين**)، وقولهم: (**إنَّ التفاوض مع العدو والهدنة معه هي من أمور السياسة الشرعية التي ثبت أصلها في السنة... لأنَّ انتفاء النص في مسائل السياسة الشرعية الفرعية لا يعني فساد هذه السياسة أو بطلانها ولا يقال في ذلك أين دليلك ولا داعي لمثل هذا التحدي الفارغ الذي ينم عن جهل بالشريعة والواقع**).

فبالله الذي لا إله إلا هو: هل نحن حقيقون بوصف الجهلة؟ وهل هذه المؤلفات التي أخرجناها تدل على أنَّ من كتبوها من الجهلة؟

وهل الجهلة أحق بالرد العلمي الذي يكشف جهلهم، ويخرجهم إلى نور العلم، أم الهجوم عليهم، والتأكيد عليهم بأنهم جهلة؟

والله إنا لنعلم حقيقة ما عندنا من العلم المتواضع، ولكن إن كان لكم دليل على جهلنا فأظهروه ببحوثكم الشرعية المؤصلة المدللة.

ولسوف نبين بعض الحقائق التي تظهر الأحق بهذا الوصف من نفس التي اتهمتونا فيها بالجهل والابتداع وما إلى ذلك، جامعين لكم النقاط المبعثرة في هذا الكتاب نقطة نقطة؛ لتروا كيف تحولت إلى ظاهرة.

النقطة الأولى: **قال المجلس**: (**قال صاحب المقال: وما هي حدود (التوازن) الذي** طالبتم (بإعادته إلى مؤسسات الدولة وأجهزتها ودوائرها)؟ هل أن تكون لكم حصة

كتلك التي تكون لعملاء الاحتلال والأحزاب التي تآلفت على قتل الإسلام وانتزاع الهوية الإسلامية عن بلد الخلافة؟ انتهى.

الجواب: **هنا يصل الحوار والتهمة إلى مستوى هابط ينم عن خلق ذميم وسوء أدب يضطرنا أن نقول حدود التوازن أمر لا نفصح به إلا لأهل الشأن ولا نظنك من أهل هذا الشأن). انتهى كلام المجلس.**

ونقول: وهكذا فإنَّ بين كل فقرة وفقرة من رسالة المجلس يأتي التجهيل لنا، وهذا ما لا نأبه به، لكن كان الواجب أن تظهر- أيها المجلس- علمكم؛ ليظهر جهلنا على حقيقته.

ومن ذلك قولهم: (قال صاحب المقال: ونسأل الجبوري ومن على شاكلته: كيف تطلب من الأمريكان إعمار البلد، وهم من احتل الأرض وانتهك العرض وأهلك الحرث والنسل؟ انتهى.

الجواب: **هذا سؤال عجيب يصدر منك وممن هو على شاكلتك**. وما الغرابة في أن تطلب ممن هدم بيتك حق إعماره حتى لو كنت مستبعدًا الاستجابة إلى ذلك لعتوه وظلمه فسيأتي اليوم الذي تأخذ حقك منه إذا ثبّتّ حقك وداومت المطالبة به وها هي ليبيا كسبت الدعوى على الاحتلال الإيطالي بعد عشرات السنين من المطالبة بها، وبدأت إيطاليا تسدد إلى ليبيا بعض الأضرار التي ألحقتها بالليبيين، وليبيا دفعت الأموال الطائلة لضحايا لوكربي بعد فترة طويلة من الحادثة.

وإذا أردنا أن نقر باعتراضك هذا فينبغي أن نطرده على سائر المطالب الأخرى .بمعنى كيف نطلب من الاحتلال أن ينسحب من العراق وهو الذي احتله وخطط له من سنوات عديدة وصرف عليه الأموال الضخمة وخسر من دماء أبنائه الكثير في سبيل ذلك،

وكيف نطلب منه إخراج السجناء وهم عنده إرهابيون محاربون له، وقس على ذلك بقية المطالب إلى أن ينتهي الحال بك بأن تقول أنا لا أريد من الاحتلال شيئًا وليبق على حاله).انتهى كلام المجلس.

يا من كتبت هذا المقال ووافقت عليه: هل تحسب أنك تتحدث مع أناس لا عقول لهم؟ أم أنك تتحدث عن غير واقع العراق؟

فهل الناس يعتقدون أنَّ هذا العدو سوف يعمِّر بيتك دون مقابل؟

هل سيصدقك الناس أنه سيعِّمر بيتك ثم يخرج من بلدك ويمنحك استقلالك؟

في أيِّ عالم تعيشون، ومع أيِّ نوع من العقول تتحدثون، وهل يعقل أنَّ لكم من أصحابكم مصدقين؟

هل العدو أقرب للخضوع وللاستجابة لمطالبك، وهو في وضعه هذا المتغطرس المتعالي، أم حين يكون مهزومًا متألمًا من شدة الصولة الجهادية عليه؟

إذن فلمصلحة مَن مفاوضته وموادعته ومسالمته ومهادنته في وضع غطرسته وتعاليه كما تقولون؟

وإننا والله لنعجب كيف يظهر الله سبحانه نقض القول الباطل، من قول صاحبه نفسه، فالكاتب يقول: **نطالب**. وهو يقر باستبعاد الموافقة على الطلب، وذلك لعتو المحتل وظلمه وغطرسته، وسيأتي اليوم الذي تأخذ فيه حقك كما أخذت ليبيا من الطليان اليوم حقوقهم... إذن فلم المطالبة بذلِّة؟ لم نجعل الموافقة بيد العدو؟ لم لا نرغمه على ذلك بالتزام سبيل الجهاد في سبيل الله، ونترك هذه المفاوضات؟!

قد قلنا ولا نزال أننا لا نعارض المفاوضات لذاتها ولكن لآثارها المدمرة وثمار الزقوم التي ملأت بها شجرتها، وها أنتم تعترفون بعدم جدواها، بل كل العراقيين رأوا ما صنعت الصحوات وهل الصحوات إلا واحدة من ثمار المفاوضات؟

عجبًا: أعندكم الإصرار على التزام طريق التفاوض لعشرات السنين حتى تحصلوا على هذه المبالغ عن طريق المفاوضات؟!

أيها المجلس: لا تغطوا الحقيقة المرعبة المفزعة، إنها **وحدة مطلبكم** مع مطلب الحكومة العميلة؛ بل الحكومة الأمريكية نفسها، وهو إعمار العراق؛ بل القوم وضعوا له خطة كما أعلنوا؛ ليستثمروا هم هذه القضية في دغدغة مشاعر العراقيين، وقبول بقائهم، وبقاء عملائهم وليس بقاءكم وبقاء إخوانكم المجاهدين؛ بل إنَّ هذه الخطة مما يراد لها أن تستثمر في قلب المِجَن على المجاهدين، وكسب تأييد الناس لعملاء المحتل.

أما قول المجلس : (**وإذا أردنا أن نقر باعتراضك هذا فينبغي أن نطرده على سائر المطالب الأخرى.. مثل إخراج السجناء وهم عنده إرهابيون**). لا ندري كيف يسوق هذا المجلس الحجج التي يوردها، ولا يحسن أن يصدرها، فالمفترض أن يعلل عدم إخراج السجناء: "لأنَّ في ذلك طلب من الاحتلال، ونحن نرفض أن نطلب منه"، لا أن يقول: وهم عنده إرهابيون! فما علاقة هذا بهذا؟ ما علاقة كونهم إرهابيين، وما علاقة نظرة المحتل لهم، فأنت تتحدث هنا عن نظرتنا نحن للمحتل، عن سبب عدم طلبنا منه.

يا إخواننا: هل قال أحد من أهل العراق الشرفاء: أننا لا نطلب من الاحتلال أن يرحل، أو لا ينبغي أن يخرج السجناء، أو لا يعوض أبناء البلد، أو يوفي بكل مطالبنا... لا والله! لكنَّ الطلب في **أقبية التفاوض بأثمان التنازل**، وأثمار المشاركات المشهودة في مختلف الأصعدة، وكل ذلك راجع لموافقة العدو، وموافقة العدو مع مثل هذا الأسلوب من

المطالبات **مرهون ببقائه وتأمينه واستقراره في مقابل توفية بعض المطالبات عن طريق عملائه الذين يستثمرون تلك المنح لمزيد تمكينهم**.

إنَّ العدو ليمتنع أكثر وأكثر بطرقكم التفاوضية هذه التي أثمرت هدنة وصحوات في بعض قواطعكم، ويتفرغ لإخوانكم المصرِّين على قتاله وطرده، وتتعطل العمليات الجهادية، وتصبح غريبة بهذا السبب، كما رأيتم ورأى العالم ذلك، بينما أنوف العدو الذي وصفتموه بالمتغطرس يداس معاطسه بالعمليات الجهادية، ويقدِّم التنازلات تلو التنازلات، وتعمل لجانه الداخلية على عجل لوضع خطة انسحاب، ويتمنى أن يحقق لنا مطالبنا بكل طريق على أن نتركه ونترك عملاءه.

ولو أمعنتم النظر لرأيتم الفارق في قدركم عند العدو قبل المفاوضات، وقدركم الآن!

النقطة الثانية: ولا نريد أن نبادل تهمة التجهيل بمثلها، ولكن بودنا أن نسأل من يجهلنا في مقاله، وكرر ذلك مرارًا أن ينظر إلى العلم الذي في كتابه هذا، أين هو؟ أين الأدلة؟ وأين تحقيق الأدلة؟

هل ترى كاتب هذه الرسالة **يُحْسن استخراج وجه الدلالة من الأدلة؟** هل تراه أصَّل لمسألة علمية؟... فإنك تحتار وأنت تحاول أن تربط الدليل بالموضوع، وتشعر أنَّ الدليل في المشرق والموضوع في المغرب... حاول بنفسك، فلعلك تصل إلى ما عجزت عنه.

يقول المجلس السياسي: (**لقد أرسل رب العالمين كليمه موسى عليه السلام ليدعو فرعون ذلك الطاغوت الذي ادعى الألوهية والربوبية** وأنكر وجود الخالق سبحانه وصال على بني إسرائيل يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم طالبًا منهم أن يقولوا له

أنت ربنا الأعلى فقال سبحانه له ولهارون: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه). وقال الله لهما: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ (طه). وقد علم الله في سابق علمه التام أنه لن يتذكر ولن يخشى، ولكن لإقامة الحجة على الطاغوت وأتباعه؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. ومن ذلك!!! قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ (الأنفال). ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأنفال)...). **انتهى كلام المجلس.**

ونقول: هل هذا هو الاختصام العلمي؟! إنه يعيب علينا عدم الرسوخ والعمق في فهم الأدلة؛ ليبني عليها عمق استدلاله ورسوخه، ويذكر هذا الاستدلال كمثال على رسوخه.

فبالله عليكم أيها المجلس: أين شروط القياس الصحيح ما بين مفاوضاتكم وتنازلاتكم وصحواتكم وبين ذهاب موسى عليه السلام إلى فرعون؟! أهو علم الله بأنَّ فرعون لم يوافق على طلبات موسى عليه السلام ومع هذا أمره بالذهاب إليه؟ أم ماذا؟

يا أصحاب المجلس: هل ذهب موسى عليه السلام مفاوضًا فرعون؟ وهل كان فرعون محتلاً خارجيًا، وكان موسى عليه السلام من أبناء البلد المقيمين فيه؟

ما شاء الله! **إذن فلقد ذهبتم- كما ذكرتم- لإقامة الحجة على الأمريكان؟** ثم ماذا بعد إقامتكم للحجة عليهم؟

فهل تريدون أن نحتج بعلم الله على الفعل الخطأ؟ أم تريدون أن تقولوا يجب علينا أن نقدم على الفعل الذي يأتي بأضرار ومفاسد أعظم أو لا يأتي بأيِّ نتيجة حتى لو علمنا بذلك؛ لأنَّ الله علم بذلك وترك موسى عليه السلام؟!

فمن يضمن أنكم سوف تستدلون على مفاوضاتكم بذهاب بقية الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم؟ وتستدلون بذهاب الرسل الثلاثة إلى القرية؟ بل تستدلون بذهاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قومه، في أنديتهم وأسواقهم ومواسمهم على مفاوضاتكم مع الصليبي المغتصب؟

بالله عليكم: هل كان هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم السلام مفاوضين مهادنين؟

أم كان موسى عليه السلام مفاوضًا لفرعون؟ وهل ذهابكم إلى هؤلاء الأمريكان كذهاب موسى والأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم؟ هل المهمة كالمهمة، أم الغاية كالغاية، أم الشجاعة كالشجاعة أم المنطق كالمنطق أم النتيجة كالنتيجة؟

أيُّ جرأة لتشريع التفاوض بلغت بمسلم يفكر أنَّ ذهابه للفاوضات كذهاب موسى عليه السلام إلى فرعون؟!

الله سبحانه ينص على أنَّ ذهاب الأنبياء عليهم السلام كان دعوة إلى التوحيد، وأنتم تقيسونها على المفاوضات؟

الله سبحانه يقول لموسى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ (النازعات).

يا قوم: ارجعوا لكتاب الله، وانظروا في الآيات التي تحدثت عن ذهاب أنبياء الله عليهم السلام إلى أقوامهم، ولا تسلبوا دعوة الأنبياء ربانيتها، ولا الأنبياء إخلاصهم وتوحيدهم ولا دعوتهم عظمتها.

تأملوا كيف يقص الله عز وجل قصة موسى عليه السلام، وذهابه إلى فرعون:

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (القصص: ٣٠ - ٤٣).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (غافر: ٢٣ – ٢٨).

أيها المجلس: لعلنا لا ندري أنَّ ذهابكم إلى الأمريكان كان دعوة كدعوة الأنبياء عليهم السلام إلى التوحيد، أو أنَّ ذهاب الأنبياء عليهم السلام كان للتفاوض مع رؤوس الكفر والملأ الذين كفروا، للوصول إلى حلول وسط، حاشا أنبياء الله عليهم السلام ذلك.

سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم!

فماذا يمكن إذًا أن نقول عن إبراهيم عليه السلام الذي قال الله عنه وعن خصمه:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (البقرة).

أنقول إنها مفاوضات مع النمرود حاكم العراق، أم مفاوضات مع أبيه والملأ ؟!

النقطة الثالثة: إنَّ الجرأة على هذا المقام، مقام الأنبياء، لتدل كما ذكرت على انحراف منهجي في غاية الضلال والخطورة، وتنبأ عن جرأة قادمة لا يمكن تصور قعرها، فماذا بعد الأنبياء؟!

ولا غرابة بعد ما اقتحم المجلس حرمة الأنبياء عليهم السلام متخبطًا باحثًا عن دليل أن يكمل بالعلماء.

فلو عقل هذا المجلس لما استدل بفعل شيخ الإسلام ابن تيمية على فعله، فأين فعل شيخ الإسلام من فعلكم هذا؟

وهل وضع العدو حين بدأتم المفاوضات معه وضع منتصر متمكن في البلاد أم هو وضع الغريق الذي يريد الإنقاذ؟ أو وضع من يريد الإغاثة وإمداد العمر وإمداد البقاء أطول فترة ممكنة؟

فأين حال التتار مع المسلمين من جهاد قائم كجهاد العراق! يوم لك ويوم عليك، إن نألم مرة فإنَّ العدو يألم مرتين، وإن نخسر جولة، فهو يخسر جولتين، وسوف يخسر الحرب كلها بإذن الله تعالى، وأنت على أرضك وبين أهلك، ومقتل الجندي منهم يساوي عندهم الكثير، والجهاد مع الأيام في تصاعد، والشباب في تظافر على النصرة، والخناق يشتد على العدو يومًا بعد يوم، ويكفيك أن ترى الإرباك السياسي الذي كاد يأتي على نظامهم بأكمله من أثر الجهاد، وهل أدل على ذلك من زوال حزب برمته عن قيادة البيت الأبيض، ولو أوكل الأمر إلى المفاوضات لكان بوش اليوم يمسح عارضيه في البيت الأبيض بانتصاره وتمكينه ونجاح خططه في العراق وفي العالم الإسلامي.

أليس بعد هذه القوة الظاهرة والعمليات الظافرة جاء الأمريكان يطلبون المفاوضات بأيِّ ثمن؟!

فأيُّ قياس بين موقف شيخ الإسلام وبين وضعكم اليوم؟!

وهل من يستجيب لمطلب العدو يساهم في إنقاذه أم لا؟

ثم هل الأصل إذا طلب العدو منا أن نستجيب له، كما ذكرتم فقلتم: (ثم إنَّ العدو هو الذي طلب المفاوضات)؟ فهل الأصل أن نستجيب له أم الأصل أن نرده ونرد طلبه؟

إنَّ الأصل هو أن لا نطيعه بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ (الأحزاب). ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ (الفرقان). ويقول سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإنسان). ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ (القلم). ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ (فاطر). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ (النساء).

فأيُّ جنوح للسلم يقبل شرعًا، إذا كانوا محتلين بلادنا جاثمين على أرضنا، ممسكين بزمامنا؟

أما وضع التتار- فكما أشرتم له- فقد سحق العراق سحقًا، وقتل الناس صبرًا، وليس أمام أيِّ قوم أمامه، وهم بهذا الضعف الذي شهده المسلمون آنذاك، إلا هذا المصير الذي ذاقه أصحابهم أهل العراق من قبلهم، فمن يستطيع أن يقترب منهم أو يفاوضهم على رجوعهم أو ثنيهم عن عزمهم؟! فكان ذهاب شيخ الإسلام لهم، هو الجهاد وبيع النفس لله، لذلك خشي عليه من معه أن يقتل. فقد كان ذهابه- والله أعلم- كذهاب

الشاب المسلم إلى الدجال وإخزاء الله للدجال به، أو كترول الرجل المستخبر لعيسى عليه السلام ومن معه؛ ليعرف ما صنع يأجوج ومأجوج.

فموقف شيخ الإسلام موقف المجاهد المصاول لله، لا المفاوض المتذلل، كما سيأتي معنا، **موقف من يريد أن يرد الجيش المعتدي قبل أن يدخل**، وهذه هي الحكمة التي لا يجوز في هذا المقام غيرها.

ذلك أنَّ الموقف المقابل لشيخ الإسلام آنذاك كان هو الفرار من التتار، والخروج من البلاد وتركها للتتار، وحمل ما يمكن حمله من المتاع والخروج بالزوجات والذرية. فهل يصح أن نصنف موقفكم كموقف شيخ الإسلام؟

وكم من متعلق بمواقف يقتطعها لهواه من كلام شيخ الإسلام ومواقفه، كتارك الصلاة المتعلق بقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ﴾ الماعون، فمرجئة العصر يستدلون بأقواله، وأصحاب المفاوضات مع المحتلين يتعلقون بأقواله وأفعاله، وأهل الغلو يستدلون بأقواله، لكنَّ الجامع بين هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء هو اقتطاع ما يوافق أهواءهم فحسب!

وإنَّ عجبنا لا ينقضي من تلاعب المجلس وطرقه في الاستدلال، فكيف يستدلون بفعل شيخ الإسلام مع قازان على مشروعية ما فعلوه مع الأمريكان من صحوات ولجان شعبية ودخول في العملية السياسية؟!

لا ندري هل هو ضعف الفهم أم الهوى أم أنهم لم يقرؤوا هذه المرحلة جيدًا؟!

والذي يقرأ هذه المرحلة من تأريخنا عند المؤرخين من علمائنا، كالذهبي وابن كثير وابن حجر العسقلاني وابن العماد الحنبلي وابن تغري بردي وغيرهم، يجد فوارق رئيسية عظمى بين حال المجلس السياسي مع الأمريكان، وحال شيخ الإسلام مع قازان.

وأبرز هذه الفوارق:

الفارق الأول: إنَّ شيخ الإسلام نفسه بيَّن أنَّ التتار كانوا يريدون اصطلام أهلها- أي الاستئصال التام، فقال رحمه الله: ومقصودهم الاستيلاء على الدار واصطلام أهلها[1].

وقد نقلنا عن أهل العلم أنَّ الهدنة في جهاد الدفع مشروعة عند خشية الاصطلام. والجميع يشهد أنَّ المجاهدين في العراق لا يخشون الاصطلام.

الفارق الثاني: إنَّ قازان مَلَكَ التتار سنة (٦٩٤) هـ، وأعلن ظاهرًا دخوله في الإسلام سنة (٦٩٥) هـ، وأراد دخول الشام سنة (٦٩٩) هـ، أي بعد دعواه الانتساب إلى الإسلام، وقد أجمع على ذلك المؤرخون، وتأمل فيما قالوا:

قال مؤرخ الإسلام العظيم الإمام الذهبي رحمه الله: وفيها- أي سنة ٦٩٤- دخل في الإسلام قازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار بوساطة نوروز التركي وزيره ومدبِّر مملكته وزوج عمته، واسمه بالعربي محمود. أسلم في شعبان بخراسان على يد الشيخ الكبير المحدِّث صدر الدين إبراهيم ابن الشيخ سعد الدين ابن حَمُّوية الجُويني، وذلك بقرب الرَّي بعد خروجه من الحمَّام، وجلس مجلسًا عامًا فتلفظ بشهادة الحق وهو يبتسم ووجهه يستنير ويتهلل. وكان شابًّا أشقر، مليحًا، له إذ ذاك بضع وعشرون سنة. وضجَّ المسلمون حوله عندما أسلم ضجة عظيمة من المغل والعجم وغيرهم، ونُثِر على الخلق الذهب واللؤلؤ، وكان يومًا مشهودًا. **وفشى الإسلام في جيشه** بحرص نوروز فإنه كان مسلمًا خيِّرًا **صحيح الإسلام**، يحفظ كثيرًا من القرآن والرقائق والأذكار. ثم شرع نوروز يلقن

---

(1) مجموع الفتاوى ٢٨/٤٤٤.

الملك غازان شيئًا من القرآن **ويجتهد عليه**. ودخل رمضان فصامه، **ولولا هذا القدر الذي حصل له من الإسلام وإلا كان قد استباح الشام لما غلب عليه، فلله الحمد والمنة**[١].

وقال الإمام ابن كثير: وفيها ملك التتار قازان بن أُرغون بن أبغا بن تُولى بن جَنْكِزْخان **وأظهر الإسلام** (أي سنة٦٩٤) على يد الأمير نوروز رحمه الله، **ودخلت التتار أو أكثرهم في الإسلام**، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس يوم إسلامه، وتسمَّى بمحمود، وشهد الجمعة والخطبة، وخرَّب كنائس كثيرة، وضرب عليهم الجزية **ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد**، وظهرت السبح والهياكل مع التتار. والحمد لله وحده[٢].

وقال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني: غازان محمود بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن تُولى بن جنكزخان السلطان معز الدين، واسمه محمود، ويقول العامة قازان بالقاف عوض الغين المعجمة، كان جلوسه على تخت الملك سنة ٦٩٣، وحسَّن له نائبه نوروز الإسلام فأسلم فى سنة ٦٩٤، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس، **وفشا بذلك الإسلام في التتار**، وكان فى مملكته خراسان بأسرها والعراقان وفارس والروم وآذربيجان والجزيرة، وكان إسلامه على يد الشيخ صدر الدين إبراهيم بن سعد الله بن حَمُّوية الجويني، وعمره يومئذ بضع وعشرون سنة، وكان يوم إسلامه يومًا عظيمًا، دخل الحمام فاغتسل وجمع مجلسًا وشهد شهادة الحق في الملأ العام، فكان لمن حضر ضجة عظيمة، وذلك في شعبان سنة ٦٩٤، ولقنه نوروز شيئًا من القرآن، وعلَّمه الصلاة، وصام رمضان كل السنة، وكان غازان يتكلم بالفارسية مع خواصه، ويفهم أكثر ما يقال له باللسان العربي، ولما ملك أخذ نفسه بطريق جده الأعلى جنكز خان، وصرف همته إلى

(1) تاريخ الإسلام (تحقيق الدكتور بشار) ٦٩١/١٥.

(2) البداية والنهاية ٥٨٤/١٥.

إقامة العساكر وسد الثغور وعمارة البلاد والكف عن سفك الدماء... وكان هلاكو ومن بعده يعدون أنفسهم نوابًا لملك السراي، فلما استقرت قدم غازان تسمى بالقان، وقطع ما كان يحمل إليهم، وأفرد نفسه بالذكر والخطبة وضرب السَّكة باسمه، وطرد نائبهم من بلاد العراق، وقال: أنا أخذت البلاد بسيفي لا بغيري... ثم طرق البلاد الشامية في سنة ٦٩٩، فكانت الوقعة العظيمة بوادي الخزندار، والظفر لغازان، ودخل دمشق وخطب له على المنبر، واستمرت من ربيع الآخر إلى رجب، وحصل في ذلك الوقعة لأهل الشام من سبي الحرم والذرية وتعذيب الخلق **بسبب المال** ما لا يوصف، وهلك خلائق من العذاب والجوع، ثم رجع ثم عاد مرة أخرى سنة سبع مئة فأوقع ببلاد حلب أشهرًا ثم جهز خُطلوشاه بالعساكر ليغزيهم على حلب وأمره أن لا يجاوز حمص، فلما حضر وجد العساكر قد تقهقرت فجاز البلاد إلى أن وصل إلى دمشق، واستمر طالبًا مصر فكانت الكسرة العظيمة عليه في وقعة شقحب وذلك في سنة ٧٠٢، وحمل غازان على نفسه بسبب ذلك، فلم يلبث أن مات، وكان غازان أشقر ربعة خفيف العارضين غليظ الرقبة كبير الوجه، وكان يعف عن الدماء لا عن المال(١).

وقال ابن تغري بردي: وملك التتار غازان ويقال: قازان، وكلاهما يصح معناه، واسمه الحقيقي محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، **وهو مظهر الإسلام وشعائر الإيمان**(٢).

وقال أيضًا: وفشا الإسلام بإسلامه في ممالك التتار، وأظهر العدل وتسمى محمودًا، وكان أجل ملوك المغل من بيت هولاكو(٣).

---

(1) الدرر الكامنة ٣/٢٩٢.

(2) النجوم الزاهرة ٨/٢١٢.

(3) المصدر نفسه.

وشبهة إسلام قازان قد تأثر بها كثير من العلماء، قال الذهبي: وفي ثاني رجب جمع قبجق الأعيان **والقضاة** إلى داره وحلَّفهم للدولة القازانية بالنصح وعدم المداجاة[1].

وقال ابن كثير: وفي ثاني رجب طلب قبجق **القضاة** والأعيان فحلَّفهم على المناصحة للدولة المحمودية- يعني قازان- فحلفوا له[2].

ولا شك أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية سمع **بانتسابه** إلى الإسلام، فأراد أن يبيِّن له خطأ ما يفعله، ويقيم عليه الحجة، لعله ينتهي عما يريد فعله. وهذا ما يقودنا لمعرفة الفارق الثالث...

الفارق الثالث: ما حصل بين شيخ الإسلام وقازان يختلف اختلافًا جذريًا عما حصل بين جماعات المجلس والأمريكان، ولا بد أن نذكر ما حصل بين شيخ الإسلام وقازان؛ ليعلم القارئ القياس الفاسد الذي وقع فيه المجلس السياسي. وأنَّ العبرة ليست بظاهر كلمة التفاوض وإنما بحقيقتها ونتائجها.

قال شيخ الإسلام في رسالته لملك قبرص: ولما قدم مقدم المغول غازان وأتباعه إلى دمشق، **وكان قد انتسب إلى الإسلام**؛ لكن لم يرض الله ورسوله والمؤمنون بما فعلوه؛ حيث لم يلتزموا دين الله، وقد اجتمعت به وبأمرائه، وجرى لي معهم فصول يطول شرحها، لا بد أن تكون قد بلغت الملك، فأذله الله وجنوده لنا حتى بقينا **نضربهم بأيدينا ونصرخ فيهم بأصواتنا**، وكان معهم صاحب سيس مثل أصغر غلام يكون، حتى كان بعض المؤذنين الذين معنا يصرخ عليه ويشتمه، وهو لا يجترئ أن يجاوبه حتى إنَّ وزراء غازان ذكروا ما ينم عليه من فساد النية له، وكنت حاضرًا لما جاءت رسلكم إلى ناحية الساحل، وأخبرني التتار بالأمر الذي أراد صاحب سيس أن يدخل بينكم وبينه فيه، حيث

---

(1) تاريخ الإسلام ١٥/٧١٥.

(2) البداية والنهاية١٥ /٦٢٥.

مناكم بالغرور، وكان التتار من أعظم الناس شتيمة لصاحب سيس وإهانة له، ومع هذا فإنا كنا نعامل أهل ملتكم بالإحسان إليهم والذب عنهم. وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى وأطلقهم غازان وقطلوشاه وخاطبت بُولاي[1] فيهم فسمح بإطلاق المسلمين. قال لي: لكن معنا نصارى أخذناهم من القدس فهؤلاء لا يطلقون. فقلت له: بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، فإنا نفكُّهم ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة. وأطلقنا من النصارى من شاء الله. فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله. وكذلك السبي الذي بأيدينا من النصارى يعلم كل أحد إحساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم؛ كما أوصانا خاتم المرسلين حيث قال في آخر حياته: (الصلاة وما ملكت أيمانكم). قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الإنسان. **ومع خضوع التتار لهذه الملة وانتسابهم إلى هذه الملة، فلم نخادعهم ولم ننافقهم**؛ بل بينا لهم ما هم عليه من الفساد والخروج عن الإسلام الموجب لجهادهم، وأنَّ جنود الله المؤيدة وعساكره المنصورة المستقرة بالديار الشامية والمصرية ما زالت منصورة على من ناوأها مظفرة على من عاداها، وفي هذه المدة لما شاع عند العامة أنَّ التتار مسلمون أمسك العسكر عن قتالهم فقتل منهم بضعة عشر ألفًا ولم يقتل من المسلمين مئتين. فلما انصرف العسكر إلى مصر وبلغه ما عليه هذه الطائفة الملعونة من الفساد وعدم الدين خرجت جنود الله وللأرض منها وئيد قد ملأت السهل والجبل في كثرة وقوة وعدة وإيمان وصدق، قد بهرت العقول والألباب محفوفة بملائكة الله التي ما زال يمد بها الأمة الحنيفية المخلصة لبارئها فانهزم العدو بين أيديها ولم يقف لمقابلتها. ثم أقبل العدو ثانيًا فأرسل عليه من العذاب ما أهلك النفوس والخيل، وانصرف خاسئًا وهو

---

(1) في المطبوع "مولاي" والصواب ما أثبتناه.

حسير، وصدق الله وعده ونصر عبده. وهو الآن في البلاء الشديد والتنكيس العظيم والبلاء الذي أحاط به، والإسلام في عزٍّ متزايد وخير مترافد[١].

وقال ابن كثير- بعد أن ذكر هزيمة المسلمين، والمصائب العظمى التي أصابت الشام-: هذا وسلطان التتار قد قصد دمشق بعد الوقعة، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين بن تيمية **في مشهد عليٍّ، واتفقوا على المسير إلى قازان؛ لتلقيه وأخذ الأمان منه لأهل دمشق**، فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر، فاجتمعوا به عند النبك، **وكلَّمه الشيخ تقي الدين كلامًا قويًا شديدًا، فيه مصلحة عظيمة، عاد نفعها على المسلمين، ولله الحمد**[٢].

وتأمل جيدًا ما جرى داخل أقبية المفاوضات كما يحلو للبعض الإيهام بها! يقول ابن كثير- عند ذكره لأحد الصالحين-: وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين بن تيمية لما تكلم مع قازان، فحكى عن كلام شيخ الإسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه: قل للقان: أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاض وإمام وشيخ على ما بلغنا، فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت! قال: وجرت له مع قازان وخُطْلوشاه وبُولاي أمور ونوب، قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحق و لم يخش إلا الله عز وجل. قال: وقرب إلى الجماعة طعامًا فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم، وكله مما نهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟! قال: ثم إنَّ قازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: "اللهم إن كان هذا عبدك محمود، إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا، وليكون الدين كله لك، فانصره وأيده وملِّكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء

(1) مجموع الفتاوى ٢٨/٦١٧-٦١٨.

(2) البداية والنهاية ١٥/٦٢٠.

وسمعة وطلبًا للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره". قال: وقازان يؤمِّن على دعائه، ويرفع يديه. قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله. قال: فلما خرجنا من عنده، قال له قاضي القضاة نجم الدين بن صَصْرَى وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحبكم. قال: فانطلقنا عصبة وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخوَّاقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه **يتبرَّكون بدعائه**، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلاث مئة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم، هذا كلام أو نحوه، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره[1].

وقال الذهبي: وأصبح الناس يوم الأحد ثاني ربيع الآخر في خمدة وحيرة، منهم الهارب بأولاده إلى مصر، ومنهم الطامع في عدل التتار، وأنهم مشى بهم الحال نوبة هولاكو، وهم وملكهم كفار، **فكيف وقد أسلموا؟** ثم اجتمع الكبار بمشهد عليٍّ، واشتوروا في الخروج إلى الملك وطلب الأمان. فحضر ابن جماعة، والفارقي، وابن تيمية، والوجيه ابن مُنجَّى، والقاضي نجم الدين ابن صَصْرى، وعز الدين ابن القلانسي، والصاحب ابن الشيرجي، وشرف الدين ابن القلانسي، وأمين الدين ابن شُقير، وعز الدين ابن الزكي، ونجم الدين ابن أبي الطيب، وشهاب الدين الحنفي، وغيرهم. وطلعوا ظهر يوم الاثنين بهدايا للأكل في نحو مئتي نفس، ونودي في البلد من جهة **أرجواش:** لا يباع من عُدد الجند شيء، فسلطانكم باق. وأبيعت الخيل والعُدد بأقل ثمن، وبقي البلد بلا وال ولا قاضٍ. أما قاضيه الشافعي فهرب هو والمالكي، وأما الحنفي فشهد المصاف وعُدم، وأما الحنبلي فإنه أقام بأهل الصالحية ورجوا الخير، وأما محتسب البلد ومشده فهربا. وغلا الخبز،

(1) البداية والنهاية ١٣٦/١٦.

وكثر الشر والهرج. وبقينا كذلك إلى آخر يوم الخميس. وغلا سعر الطحن وسعر الخَبز لعدم الطواحين وعَدَم الحطب وقلته في الأفرنة. وقد كان الشريف القمي بادر إلى المسير إلى التتار فرجع يوم الخميس ومعه أربعة من التتار، على واحد منهم ثياب المسلمين وكَلْوَته شاش دُخاني، ومروا بالمطرزيين يجهرون بالشهادتين، والناس يتسلون بإسلامهم ويطمئنون شيئًا، فلما أصبح نهار الجمعة لم يفتح للبلد باب. ثم كسر قفل باب توما، كسره نائب الوالي الشجاع همام وابن ظاعن. ولم يذكر في الخطبة سلطان. ثم بعد الصلاة وصل إلى ظاهر المدينة جماعة من التتار معهم الملك إسماعيل قرابة قازان، فنزلوا ببستان الظاهر الذي عند الطرن، **وحضر معه الفَرَمان من الملك بالأمان**، ونادوا في البلد: افتحوا حوانيتكم، وطيِّبوا قلوبكم، وادعوا للملك محمود غازان. وقدم كبراء البلد فذكروا أنهم التقوا قازان بالنبك فوقف لهم وأكل مما قدموا له. وكان المتكلم الصاحب ابن الشيرجي، **والذي دعا للملك الخطيب ابن جماعة**. وقالوا لهم: قد بعثنا لكم الأمان قبل أن تجيئوا[(١)].

وقال أيضًا: وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية تلك الأيام يتردد إلى من يرجو نفعه إلى شيخ المشايخ، وإلى العَلَم سليمان، وإلى قَبْجَق. ثم إنه خرج مع جماعة يوم العشرين من الشهر إلى قازان، وهو بتل راهط، فأُدخل عليه، **ولم يُمكَّن من إعلام قازان بما يقع من التتار، وخافوا أن يغضب ويقتل أناسًا من المغل. وأُذن له في الدعاء والإسراع. وأشار عليه الوزير سعد الدين ورشيد الدين اليهودي مشير الدولة بأن لا يشكو التتار، ونحن نتولى إصلاح الأمر، ولكن لا بد من إرضاء المغل،** فإنَّ منهم جماعة كبيرة لم يحصل لهم شيء إلى الآن[(٢)].وقال أيضًا: وحكى لنا ابن تيمية طلوعه إلى خُطلوشاه إلى القصر هو

(1) تاريخ الإسلام ١٥/٧٠٥-٧٠٦.

(2) المصدر نفسه ١٥/٧٠٩.

والقاضي تقي الدين الحنبلي وغيره. وباتوا بالمنيبع وخاطروا بنفوسهم... وذكر لنا اجتماعه بقازان ودعاءه له بالصلاح[١].

هذا ما حصل بين شيخ الإسلام والمُخادِع قازان، فما الذي حصل بين الأمريكان والمجلس السياسي؟! إنها الصحوات واللجان الشعبية التي أمَّنت بعض المناطق للصليبيين.

والذي يقرأ تلك المرحلة من تاريخنا لا يشك أبدًا أنها أصعب من أيام الأمريكان أضعافًا مضاعفة، ولعل أصحاب المجلس السياسي لو رأوا كتاب قازان بالأمان لأهل الشام لسارعوا إلى بيعته!!! كما فعل بعض من ينتسب إلى العلم آنذاك، فقد كان يُخطب لقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مئة يوم كما ذكر ابن كثير[٢].

وذكر في "النجوم الزاهرة": وصورة الدعاء لغازان أن قال الخطيب: "مولانا السلطان الأعظم **سلطان الإسلام والمسلمين** مظفر الدنيا والدين محمود **غازان**"[٣].

قلت: فإلى الله المشتكى!

ومما جاء في كتاب مدعي الإسلام قازان: بقوة الله تعالى. ليعلم أمراء التومان والألف والمئة وعموم عساكرنا من المغول والتازيكا والأرمن والكُرج وغيرهم ممن هو داخل تحت طاعتنا أنَّ الله لما نوَّر قلوبنا بنور الإسلام، وهدانا إلى ملة النبيِّ عليه السلام ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ الزمر. ولما سمعنا أنَّ حكام مصر والشام خارجون عن طرائق الدين، غير متمسكين بأحكام الإسلام، ناقضون لعهودهم، حالفون بالأيمان الفاجرة، ليس لديهم وفاء ولا ذمام، ولا لأمورهم التئام ولا انتظام. وكان أحدهم إذا

---

(1) تاريخ الإسلام ١٥/٧١٣-٧١٤.

(2) انظر "البداية والنهاية" ١٥/٦٢٧.

(3) النجوم الزاهرة ٨/٢١٢.

تولى إذا تولى ﴿ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾... الآية. وشاع أنَّ شعارهم الحيف على الرعية، ومد الأيدي الباغية إلى حريمهم وأموالهم، والتخطي عن جادة العدل والإنصاف، وارتكابهم الجور والاعتساف، **حملتنا الحمية الدينية والحفيظة الإسلامية** على أن توجهنا إلى تلك البلاد لإزالة هذا العدوان، مستصحبين للجم الغفير من العساكر، ونذرنا على أنفسنا إن وفقنا الله تعالى بحوله وقوته لفتح تلك البلاد أن نزيل العدوان والفساد، ونبسط العدل في العباد، ممتثلين الأمر المطاع الإلهي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾...الآية. وإجابة إلى ما ندب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم: (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما وَلُوا) [1]. وحيث كانت طويتنا مشتملة على هذه المقاصد الحميدة، والنذور الأكيدة، منَّ الله علينا بتبلُّج تباشير النصر المبين، وأتمَّ علينا نعمته وأنزل علينا سكينته، فقهرنا العدو الطاغية، والجيوش الباغية. فرقناهم أيدي سبأ، ومزقناهم كل ممزق، حتى جاء الحق وزهق الباطل، فازدادت صدورنا انشراحًا للإسلام، وقويت نفوسنا بحقيقة الأحكام، منخرطين في زمرة من حُبِّب إليهم الإيمان، فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثقة، والنذور المؤكدة، فصدرت مراسمنا العالية أن لا يتعرض أحد من العساكر المذكورة على اختلاف طبقاتها بدمشق وأعمالها وسائر البلاد الشامية، وأن يكفوا أظفار التعدي عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم وأطفالهم، ولا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه، حتى يشتغلوا بصدور مشروحة، وآمال مفسوحة، بعمارة البلاد، وبما هو كل واحد بصدده من تجارة وزراعة... **إلى آخر تلبيسه وخداعه**[2].

(1) أخرجه مسلم ٧/٦، والحميدي (٥٨٨)، وأحمد ١٦٠/٢، والنسائي ٢٢١/٨.

(2) وانظر كتابه كاملاً في تاريخ الإسلام للذهبي ٧٠٦/١٥-٧٠٧ .

وبعد كتاب الأمان نكث التتار وعاثوا في الشام فسادًا عريضًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

لكن بقيت في دمشق نقطة واحدة ثابتة، تأبَّت بقيادة المجاهد البائع نفسه لله، الثابت في وجه الجموع المتهالكة نحو تصديق قازان ووعوده، وضغوطات أكبر من ذلك تلك التي يحملها له بنو قومه، وخصوصًا من الأعيان، وأشد منها من أهل العلم والدين الذين يتكلمون باسم الدين، ويؤثمون علم الدين أرجواش، ويعلقون كل ما سيصاب به البلد بعنقه، ويجعلون آثام الدماء البريئة عليه، وإنها والله لقصة تكفي بني قومنا للاعتبار، وتكفي أصحاب المجلس للعودة وإعلان الخطأ وطلب التوبة من الله، ولا نريد أن نقول أكثر من هذا، فاستمع يا صاحب المجلس لما يقول الإمام الذهبي: وقدم قَبْجَق وبكتُمر في طائفة فنزلوا بالمَيْدان، وتكلموا مع متولي القلعة علم الدين أرجواش المنصوري، وراسلوه في تسليم القلعة، وأشاروا عليه بذلك. فلم يقبل وصمم. وكانت خيرة. ثم أمروا أعيان البلد بالمشي إليه من الغد، فاجتمعوا به، وسألوه، **وقالوا: هذا فيه حقن لدماء المسلمين. فلم يلتفت عليهم**، وقد حصَّن القلعة وهيَّأ جميع أمورها وسترها، وطلع إليها جماعة كبيرة من البلد[1].اهـــ.

إنَّ من يطلب المهادنة اليوم كمن يطلب النزول من القلعة وهم كمن يطلب إلقاء السلاح، فرضي الله عن أرجواش!

ثم قال الذهبي: وفي هذا اليوم دخل قبجق إلى البلد وجلس بالعزيزية. وأمر الأعيان بمراجعة أرجواش. **فكلَّموه فلم يجبهم وأهانهم، ووقفوا كلُّهم عند باب القلعة، وطلبوا**

(1) تاريخ الإسلام ١٥/٧٠٨.

منه رسولاً فأبى. فبعثوا من كلَّمه، فأغلظ لهم وقال: أنتم منافقون، تلقيتم التتار، وسلَّمتم إليهم البلد، وجسرتموهم[١].

ويقول ابن تغري بردي: **وقالوا له**- أي قال قبجق وغيره لأرجواش-: **دم المسلمين في عنقك إن لم تسلمها؛ فأجابهم: دم المسلمين في أعناقكم أنتم الذين خرجتم من دمشق، وتوجهتم إلى غازان، وحسنتم له المجيء إلى دمشق وغيرها، ثم وبخهم ولم يسلِّم قلعة دمشق**، وتهيَّأ للقتال والحصار؛ واستمر على حفظ القلعة. ثم ترادفت قصاد غازان إلى أرجواش هذا، وطال الكلام بينهم في تسليم القلعة؛ **فثبته الله تعالى، ومنع ذلك بالكلية**. وملك قازان دمشق وخطب له بها في يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر، وصورة الدعاء لغازان أن قال الخطيب: " مولانا السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان " وصلى الأمير قبجق المنصوري وجماعة من المغل بالمقصورة من جامع دمشق؛ ثم أخذ التتار في نهب قرى دمشق والفساد بها... ودامت هذه الشدة على أهل دمشق والحصار عمال في كل يوم على قلعة دمشق حتى عجزوا عن أخذها من يد أرجواش المذكور. **قلت: على أنَّ أرجواش كان عنده سلامة باطن إلى الغاية**[٢]**.اهـ**

ما أحسن سلامة الباطن هذه التي كشفت دهاء الوجهاء ومن معهم ممن ينتسب إلى العلم، ولكم أن تتصوروا لو أنَّ أرجواش نزل على طلبهم وصدقهم فكيف سيكون حال الشام؟!

هكذا حفظ الله الشام، اللهم فاحفظ العراق.

---

(1) المصدر نفسه ٧٠٨/١٥.

(2) النجوم الزاهرة.

ولربما قال قائلكم: هذا رأي أرجواش، وليس رأي أهل العلم؟ فاستمع ماذا قال ابن كثير: وأرسل قبجق إلى نائب القلعة ليسلمها إلى التتر، فامتنع أرجواش من ذلك أشدَّ الامتناع، فجمع له قبجق أعيانَ البلد فكلموه أيضًا، فلم يجبهم إلى ذلك، وصمَّم على ترك تسليمها إليهم وبها عين تطرف، فإنَّ الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة، يقول له ذلك، (لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلِّمهم ذلك إن استطعت)، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام، فإنَّ الله حفظ لهم هذا الحصن والمعقل الذي جعله الله حرزًا لأهل الشام التي لا تزال دار ايمان وسنة حتى يترل بها عيسى ابن مريم[1].

وقال أيضًا: وقد أعجزهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها[2].

ثم قال: ورسم قبجق لخطيب البلد وجماعة من الأعيان أن يدخلوا القلعة، فيتكلموا مع نائبها **في المصالحة** (أي بينه، وبين نواب التتر وقَبْجَق)، فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة، فكلموه، وبالغوا معه، **فلم يجب إلى ذلك، وقد أجاد وأحسن وأرجل في ذلك، بيَّض الله وجهه**[3].

وبعد خروج التتار من الشام "نادى أرجواش في البلد، احفظوا الأسوار، وأخرجوا ما كان عندكم من الأسلحة، ولا تهملوا الأسوار والأبواب، ولا يبيتن أحد إلا على السور، ومن بات في داره شنق، فاجتمع الناس على الأسوار؛ لحفظ البلاد **وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يدور كل ليلة على الأسوار، يحرِّض الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط**، ويذكر لهم الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل الجهاد والرباط والحرس ويحثهم على ذلك.

(1) البداية والنهاية ١٥/٦٢١.

(2) المصدر نفسه ١٥/٦٢٤.

(3) المصدر نفسه ١٥/٦٢٥.

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففرح الناس بذلك، وارتفعت أصواتهم بالدعاء له، **وقد كان يخطب لقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مئة يوم** سواء.

وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخمارات والحانات، فكسروا آنية الخمور، وشققوا الظروف، وأراقوا الخمور، وعزَّروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش، ففرح الناس بذلك[1].

هذه خلاصة قصة شيخ الإسلام مع قازان، فهل خرج شيخ الإسلام إلى الناس يطلب منهم إيقاف الجهاد؟ أو أنه طلب من أهل السلاح بيع سلاحهم وأهل الخيل بيع خيلهم أو نحو ذلك مما يدخل في نفس إطار إيقاف الجهاد ولو جزئيًا؟

هل وافق شيخ الإسلام على إيقاف العمليات الجهادية، ولو في بعض المناطق؟

هل وافق على تكوين فرق مشتركة كما فعل بعضكم وبرر له الباقون؟

هل وافق على إنشاء صحوات الفصائل المجرمة والمشاركة فيها؟
هل وافق على حماية مناطق أو طرق أو استلام مهام معينة لصالح العدو؟

ثم انظر مرَّة أخرى إلى رأي شيخ الإسلام في تسليم القطعة الوحيدة لهم: (**فإنَّ الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك: لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت**)[2].

سبحان الله كم هم الذين تحدَّثوا عن وجوب تسليمها وتجنيب البلاد ويلات الدمار؟

---

(1) البداية والنهاية ١٥/٦٢٦-٦٢٧.

(2) البداية والنهاية ١٥/٦٢١.

كم هم الذين أرادوا الصلح من خلال تسليم القلعة وإنهاء حالة الشد مع التتار؟

كم هم الذين اعتقدوا أنهم أكثر حكمة وسياسة؟

أيها المجلس: أيُّ دين يمكن أن يؤخذ عمن يصنع بالدين هذا الصنع، ويزوِّر التاريخ هذا التزوير، ويلفق على العلماء هذا التلفيق؟!

النقطة الرابعة: قلتم في بيانكم ما نصه: (**وما رأيك بدعوة الشيخ أسامة الغرب وخاصة الأمريكان إلى هدنة طويلة الأمد وأردفه الدكتور الظواهري قبل أيام ليدعو الرئيس الأمريكي إلى قبول دعوة زعيم تنظيم القاعدة إلى هدنة طويلة الأمد. وكذلك ماذا تقول عن تلميح!!! أبي عمر البغدادي في خطاب له بأنَّ جماعته هي التي ينبغي أن يتفاوض الأمريكان معها وقد أذيع ذلك بصوته على وسائل الإعلام؟ لماذا لم تقم بواجب النصيحة والتحذير من هذه الجريمة والتنبيه على الضرر المترتب على المشروع الجهادي بسببها، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.**).

ولا ندري هل حين أفلستم من كل الأدلة الشرعية لجأتم إلى هذا الاستدلال؟

وهل الشيخ أسامة حجة؟ ومع ذلك فإنَّ من الظلم البيِّن والجلي الواضح، ومن التلبيس الفاحش أن يقارن بين ما فعلتم من صحوات وغفوات ولجان شعبية ودخول في العملية السياسية، وبين دعوة الشيخ أسامة بشروطه الشرعية المعروفة، وأولها الخروج من ديار المسلمين، وأنتم تريدون إعادة التوازن في حكومة المجوس، ونحن حينما نجرِّمكم بدعوتكم للتفاوض فإنما ننظر إلى أفعال بعضكم المعروفة في الساحة التي عُطِّل بسببها الجهاد في مناطق كثيرة.

ألم تثمر مفاوضات بعضكم مع الأمريكان قتل بعض أبناء الجهاد واعتقالهم؟ أليس من الحق أن نجرِّم أفعالكم هذه؟

نشدناكم الله هل أيديكم غير ملطخة بدمائهم؟

إنَّ الشهود على هذا فوق الحصر، ومنهم أناس منكم جاؤوا تائبين سائلين الله أن يرزقهم الشهادة في سبيله.

ثم كما نناصحكم فقد ناصحنا القاعدة من قبل كما في كتابنا " عباد الله تمايزوا"، وكتابنا "من يغسل العار عن العشيرة". وبالتالي لا داعي ولا معنى عن حديثكم عن خشيتنا من المخلوق!

النقطة الخامسة: قولهم: (**ابتداع أحكام ما أنزل الله بها من سلطان إلى غير ذلك من التجرؤ على تكفير أهل الإسلام**).

يا إخواننا: نقسم بالله عليكم أن تهدونا لحكم واحد ابتدعناه وما أنزل الله به من سلطان، فإما أن تظهروا لنا ما ابتدعناه، وإلا كان ذلك اعترافًا صريحًا بأننا على الحق في كل مسألة من المسائل التي كتبنا فيها.

ونحن نجزم لو أنَّ لدى الكاتب حكمًا واحدًا ابتدعناه لما تركه ولذكره وعظَّمه، وباختصار فإنَّ دعواكم مجرد دعوى تخلو من الدليل.

أما قولهم: (كما أنَّ علماء الجهاد المعاصرين لما استفتوا في قضية جهادية معاصرة أفتوا بجواز التفاوض مع العدو الصائل بل الهدنة معه مادام ذلك يحقق مصلحة يراها أهل الحل والعقد)، نحن والله لا ندري لِم يذكر هذا المجلس مثل هذا الاستدلال بالعلماء المعاصرين: هل هو يجهل قول العلماء المعاصرين، وبذلك أثبت جهله، أم أنه يعتقد أنَّ القراء لا يعرفون ولا يبحثون وأنه لا أحد يجيب عليه... وهذه في حقيقتها أخطر من أختها.

ألم تقرؤوا ماذا قال العلماء المعاصرون الذين ذكرنا بعضهم في كتابنا "وصفة الصياد" في حكم جهاد العدو عند احتلال شبر من بلاد المسلمين... فأين الهدنة في مثل حالتنا؟

ألم تقرأ ماذا قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله إذا احتل شبر من أراضي المسلمين؟ ومن قال إنَّ موضوع نقاشنا هو حرمة التفاوض **على كل حال**؟ وهل توجد عبارة واحدة تنص على أننا قلنا بهذا القول؟

وهل لو قال بعض العلماء "أنه يجوز في بعض الحالات" جاز لكم أن تفاوضوا العدو على الهدنة، وأرض المسلمين محتلة من قبله؟

نحن عندما أنكرنا عليكم التفاوض مع المحتل، فأنتم تعرفون جيدًا ماذا نعني، **إنها الصحوات ودخولكم في العملية السياسية، الثمرتان الخبيثتان لتفاوضكم!!**

كل الذي يطنطن عليه المجلس من سبب التفاوض مع المحتل هو قطع الطريق على الإيرانيين...

وها هي الأيام تأتي لتثبت كيف قطعت المفاوضات الطريق على الإيرانيين؟!

كيف أنَّ المالكي وطاقمه المجوسي ذهبوا؟!

كيف أنشأت الصحوات واللجان الشعبية بعد هذه المفاوضات؟

كيف استحر القتل في طوائف من المجاهدين الذين لا يحل قتلهم؟

كيف ضاعت مناطق بعد أن أمنتموها لهم؟

كيف تساقطت جموع من أتباعكم، فإذا تساقط الأتباع فماذا بقي؟

كيف أصبحت سمعتكم عند كل شريف؟!

كيف انخفضت معدلات عملياتكم الجهادية حتى لم يعد شيء منها يذكر، وهي في انخفاض؛ لأنَّ تيار التفاوض ورموزه في طغيان وعلوٍّ على التيار الجهادي.

كيف تلاعب الأمريكان بمصير العراق ما بين الإيرانيين وبينكم، وكيف تلاعب الإيرانيون كذلك بلعبة شد الحبل هذه؟

أهؤلاء ممن يفي بوعدٍ؟ أم أولئك ممن يفي بوعد...؟ أتشك أنَّ مصالح الأمريكان مع الإيرانيين **أبعد** من المصالح معكم؟ أتشك لحظة أنَّ بين الإيرانيين وبين الأمريكان مفاوضات لا تعرفونها؟ أتشك أنَّ الإيرانيين لا يفاوضون على العراق وحده، وإنما على مصالح إقليمية وعالمية واقتصادية وسياسية كبرى، وعلى بلاد عدة؟

فهل ترى أنَّ حل هذه بالدخول في مفاوضات مع الأمريكان؟

وهل أمريكا حين تفاوضك تعطيك- أيها المجلس- ثقل المتحكم بمصير العراق كله، أو بمصير الجهاد كله؟

رحم الله امرأً عرف قدر نفسه... ورحم الله امرأً وثق بعهد ربه بنصره إن هو جاهد في سبيله.

النقطة السادسة: قال المجلس السياسي: (نتحدى صاحب المقال أن يأتي بقولٍ لعالم معتبر قديمًا أو حديثًا يحرم مجرد التفاوض مع العدو إذا كان صائلاً...).

أما العالم القديم فهو الإمام الماوردي الذي قال: : (وإذا لم تَدْعُ إلى عقد المهادنة ضرورة لم يجز أن يهادنهم)[1]. وبين رحمه الله في الحاوي أنَّ خشية الاصطلام -الاستئصال- هو ما يبيح الهدنة معهم فقط[2].

---

(1) الأحكام السلطانية ٥٥.

(٢) انظر الحاوي ١٤/٣٥٥.

وأما العالم الحديث فهو الشيخ الدكتور عبد الله عزام الـــذي قـــال: "لأنَّ أرض الإسلام ليست لأحد، فلا يحق لأحد أن يفاوض عليها، وهذا الشرط يبطل العقـــد، لأنَّ الأرض لله ثم للإسلام، فلا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك غيره، ولا بيع لابن آدم فيما لا يملك، ولذا بالنسبة للروس **فلا يجوز التفاوض معهم** حتى ينسحبوا من كل شبر من أراضي أفغانستان، ولا مع اليهود أبدًا في فلسطين"[1].

فماذا بعد هذا الجواب على التحدي يا مجلس؟!

فإن كان مقصود التحدي طلب الحق فها هو الحق قد اتضح.

وإن كان مقصود التحدي إبطال الحق فهذا هو الحكم على الـــنفس بـــالزهوق، والتعجيل بالسقوط وإتمام ذهاب المصداقية.

النقطة السابعة: قال المجلس السياسي: (إنَّ التفاوض مع العدو والهدنة معه هـــي من أمور السياسة الشرعية التي ثبت أصلها في السنة... لأنَّ انتفاء النص في مسائل السياسة الشرعية الفرعية لا يعني فساد هذه السياسة أو بطلانها ولا يقال في ذلك أين دليلـــك ولا داعي لمثل هذا التحدي الفارغ الذي ينم عن جهل بالشريعة والواقع).

قبل تناول هذه النقطة فإن لنا من وقفة عند معنى التفاوض والهدنة، فنقول وبالله التوفيق:

لا بد من تحرير هذين المصطلحين، حتى تتضح الصورة للقارئ...

تعريف المفاوضات لغة:

(1) الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان ص٢٧.

قال ابن منظور: وفاوضه في أمره: أي جاراه. وتفاوضوا الحديث أي: أخذوا فيه. وتفاوض القوم في الأمر، أي: فاوض فيه بعضهم بعضًا[١].

وقال الفيروز آبادي: المفاوضة: الاشتراك في كل شيء كالتفاوض والمساومة والمجاراة في الأمر، وتفاوضوا في الأمر فوَّض فيه بعضهم بعضًا[٢].

تعريف المفاوضات اصطلاحًا: لم يستعمل الفقهاء مصطلح التفاوض كما استخدمه المعاصرون للحوار بين المسلمين وغيرهم لإنهاء المنازعات، وإنما استخدموه في مسائل أخرى كمحاورة الكفار لدعوتهم إلى الإسلام، ومن ذلك قول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله –صلح الحديبية- كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلَّم بالإسلام أحد يعقل شيئًا إلا دخل فيه[٣].

واستعمل الفقهاء كذلك لفظ المفاوضة بمعنى المساواة، فمن أنواع الشركة عند الحنفية: "شركة المفاوضة" أي المساواة، ويعنون بذلك المساواة في خمسة أشياء (المال والربح...).

واستعمل الغزالي المفاوضات بمعنى الحوار في الأدلة الشرعية للوصول للحكم الشرعي[٤].

أما في العصر الحاضر فقد استخدمه بعض العلماء في غير مااستعمله العلماء ممن قبلهم، فقد عرَّفها الدكتور وهبة الزحيلي بأنها: ألوان من الحوار الجدِّي والحاسم الذي يجري بين المسلمين وغيرهم لإنهاء المنازعات، أو التمكين من نشر الدعوة الإسلامية،

---

(1) لسان العرب ٢١/٧.

(2) القاموس المحيط ص٨٣٩.

(3) السيرة النبوية لابن هشام ٢٠٦/٣-٢٠٧.

(4) يُنظر: إحياء علوم الدين ٥٥/١.

أو لإقرار علاقات حسن الجوار، أو لتقوية أواصر الود والتعاون، أو إبرام المعاهدات الثقافية أو الاقتصادية، أو الدولية، وكثيرًا ماتحدث عقب نشوب حرب بين دولتين أو أي تجمع من طرفين مختلفين[١].

وعرَّفها الدكتور محمد الغنيمي بأنها: مرحلة المباحثات التمهيدية حول موضوع المعاهدة، حيث يعرض كل طرف وجهة نظره وما يراه محققًا لمصلحته، ويتناقش الطرفان إلى أن يصلا إلى نصوص مقبولة لديهما[٢].

وينبغي التأكيد على أنَّ العلماء لم يستعملوا المفاوضات بمعناها السائد في عصرنا.

أما الهدنة فهي مصطلح استخدمه فقهاؤنا؛ بل إنهم يعقدون لها بابًا في كتاب الجهـــاد. وقد عرفها الحنفية بأنها: الصلح على ترك القتال مدة بمال أو بغير مال إذا رأى الإمام مصلحة في ذلك[٣].

وقال المالكية: هي عقد المسلم مع الحربي على المسالمة مدة ليس هو فيها تحت حكـــم الإسلام[٤].

وقال الشافعية: إنها مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معينة بعـــوض أو غـــير عوض، سواء من يُقر بدينه ومن لا يُقر به[٥].

وقال الحنابلة: هي عقد إمام أو نائبه على ترك القتال مع غير المسلمين مدة معلومـــة بقدر الحاجة[٦].

---

(1) المفاوضات في الإسلام ص٧.

(2) أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية دراسة تأصيلية ص٦٦.

(3) الفتاوى الهندية ٢/١٩٦، الاختيار ٤/١٢٠، تحفة الفقهاء ٣/٤٠٤.

(4) جواهر الإكليل ١/٢٦٩، مواهب الجليل ٣/٣٦٠.

(5) مغني المحتاج ٤/٢٦٠، نهاية المحتاج ٨/١٠٠، تحفة المحتاج ٩/٣٠٤.

(6) مطالب أولي النهى ٢/٥٨٥، كشاف القناع ٣/١١١.

وواضح وضوحًا لا خفاء فيه أنَّ من يجيز ترك قتال من اغتصب بلاد الإسلام -بحجة مشروعية المهادنة في جهاد الدفع ونحن لم نخش الاصطلام- هو جاهل في غاية الجهل، وإلا فما معنى النصوص القرآنية والنبوية التي تأمر بالجهاد، وما معنى نصوص الفقهاء التي تأمر أهل البلد بالدفاع عن بلدهم؛ بل صرحوا كما هو معلوم أنَّ الوجوب يتوسع إذا لم يكف أهل البلد أو تقاعسوا حتى يشمل البلاد المجاورة وهكذا إلى أن يشمل بلاد الإسلام كلها؛ لأنَّ أرض الإسلام مسؤولية جميع المسلمين. قال شيخ الإسلام: وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة[1].

ولا يجوز أن يعبث الجهلةُ -ممن لم يدرسوا المتون المعتمدة- بنصوص العلماء ويحرفوها لتوافق أهواءهم، ومن ذلك ما فعله الكاتب المردود عليه، فقد جاء بنصوص في الهدنة عن علمائنا لم يريدوا بها من اغتصب دار الإسلام وتوغل فيها كما هو حال الأمريكان، وإنما غاية مقصودهم من أراد أن يدخل بلاد الإسلام وليس للمسلمين طاقة بردهم فيجوز للإمام أن يهادنهم، أما من دخل دار الإسلام مغتصبًا فليس له إلا السيف، ويقول في ذلك شيخ الإسلام: وقتال الدفع مثل أن يكون العدو كثيرًا لا طاقة للمسلمين به، لكن يخاف إن انصرفوا عن عدوهم عطف العدو على من يخلفون من المسلمين، فهنا قد صرَّح أصحابنا بأنه يجب أن يبذلوا مهجهم ومهج من يخاف عليهم في الدفع حتى يَسلَموا، ونظيرها أن يهجم العدو على بلاد المسلمين وتكون المقاتلة أقلَّ من النصف، فإن انصرفوا استولوا على الحريم، فهذا وأمثاله قتال دفع لا قتال طلب لا يجوز الانصراف فيه بحال[2].

ومما ينبغي ذكره أنَّ أغلب مسائل الجهاد التي ذكرها فقهاؤنا إنما يريدون بها ما يتعلق بجهاد الطلب وليس جهاد الدفع، ولو أنك استعرضت هذه المسائل في المتون المعتمدة

---

(1) مجموع الفتاوى ٢٩/١٩٦.

(2) نفسه.

كالهداية للمرغيناني ومختصر خليل والمنهاج للنووي وزاد المستقنع للحجاوي، لعلمت صحة مانقول، لأنَّ أصول هذه الكتب كتبت في وقت الفتوحات وجهاد الطلب ولأنه هو الأصل في الجهاد، وإليك هذه الأمثلة:

قولهم: الجهاد فرض كفاية.

وقولهم: لاجهاد على عبد.

وقولهم: والدين الحال يحرم سفر جهاد وغيره إلا بإذن غريمه.

وقولهم: ويحرم جهاد إلا بإذن أبويه.

وقولهم: ويحرم قتل المرأة.

وقولهم: إن زاد عدد الكفار على مثلينا جاز الانصراف.

فهذه الأمثلة وغيرها الكثير الكثير أراد بها العلماء جهاد الطلب لا جهاد الدفع، وإن لم يصرِّحوا بذلك في نفس الموطن، ولكن يعرف هذا من مجموع نصوصهم.

ومما يحسن ذكره أنَّ القرضاوي المعروف بتساهله وشذوذه في كثير من المسائل، فرّق في مسألتنا بين جهاد الطلب وجهاد الدفع[١].

وقال الدكتور الفقيه وهبة الزحيلي: وهي (الهدنة) مشروعة مع الأعداء في ديارهم، لا في حالة اغتصاب بعض بلادنا كما فعل اليهود في فلسطين، ففي حال الغصب لا يجوز قطعًا إقرار الغاصبين على غصبهم، ويجب شرعًا طردهم من البلد المغصوب. أما في حال كون الهدنة مع

(1) يُنظر: فقه الجهاد للقرضاوي ٢/٨٢٠-٨٢١.

العدو في بلاده فيجوز شرعًا إبرام عقد الهدنة معهم، حسبما يرى الإمام أو نائبه من المصلحة[1].

يا إخواننا: نرجو أن تتوقفوا قليلاً؛ لتحرروا مسألة التفاوض تحريرًا حاسمًا، فإنَّ الملاحظ أنكم تخرجون من موضوعنا إلى عموميات، فكما يتقي اللهَ طالبُ الحكم الشرعي عند النقل عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فينبغي أن يتقي الله في تتريل ذلك الحكم على واقعه، فإنَّ الإعراض عن الواقع، والتعلق بالعموميات، دليل واضح على إرادة حكم مسبق ومعيَّن، فليست مسألتنا، هل يجوز التفاوض شرعًا مع الأعداء في بعض الحالات أم لا يجوز؟! فالتفاوض معهم مثلاً في جهاد الطلب مشروع.

لكنَّ خلافنا معكم أو السؤال الذي يُطرح للاستفتاء هنا تحديدًا هو: **ما حكم التفاوض مع العدو المحتل بلاد المسلمين بقصد عقد هدنة معه، ونحن قادرون على قتاله ولم نخش الاصطلام؟**

وما حكم تفاوض فصيل أو أكثر مع ذلك العدو إذا كان القتال مستمرًا في الميدان مع فصائل أخرى، علمًا أنَّ هذا التفاوض سوف يضعف جبهة القتال؟

وما حكم التفاوض مع العدو من أجل تأمين بعض المناطق له؟

وما حكم عقد شراكات عسكرية مع المغتصبين كفرق تفتيش وحراسات طرق وما إلى ذلك؟

وما حكم الاتفاق مع العدو على محاربة بعض الفصائل المسلمة المغالية؟

(1) الفقه الشافعي ٢/٤٩٠.

يقول شيخ الإسلام: ألا ترى أنَّ أهل السنة، وإن كانوا يقولون في الخوارج والروافض وغيرهما من أهل البدع ما يقولون، لكن لا يعاونون الكفار على دينهم، ولا يختارون ظهور الكفر وأهله على ظهور بدعة دون ذلك[1].

وما حكم تبادل المعلومات مع العدو مما يؤدي أحيانًا لقتل بعض المسلمين الغلاة أو أسرهم أو تسليمهم للعدو؟

أيجوز متابعة فصيل أو مجلس يريد التفاوض مع العدو راغبًا بهدنة معه يأمن العدو من خلالها ولو في بعض المناطق، ولا يجوز لأحدٍ من المسلمين تخويفه أو ترويعه؟

وهل يقول واحد من أهل العلم: أنكم تقومون مقام إمام المسلمين في عقد الهدنة وما يترتب عليها؟!

أليست هذه هي الصياغة الصحيحة للسؤال؟

النقطة الثامنة: ومن العجب أن تستدلوا على مفاوضاتكم بقول ابن عقيل! فلا ندري هل تعتقدون أنَّ مجرد ذكر اسم الإمام سيجعل القارئ يسلِّم بموافقة هذا الإمام لكم، وأنَّ قولكم قوله؟ أم أنَّ مجرد ذكر كلمة "السياسة"، يعني قبولنا كل ما تطرحونه لأنكم أساطينها؟!

ونحن نطلب من كل من يقرأ منكم أن ينظر في كل ما نُقل هنا عن ابن عقيل، هل تجدون فيه دليلاً على التفاوض- محل النزاع بيننا-؟ هل ينطبق ما قاله على وضعنا؟

قال الإمام ابن عقيل: السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نزل به الوحي! **فإن أردت بقولك إلا ما وافق الشرع، أي: لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح**. قلت:

(1) منهاج السنة النبوية ٦/٣٧٥.

ومفاوضاتكم التي أتت بالهدنة والصحوات نطق الشرع بالنهي عنها، وأدلة ذلك في وصفة الصياد. وقال ابن عقيل: وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة... إلى أن قال: وهذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك ومعترك صعب، فرَّط فيه طائفة، فعطلوا الحدود، وضيَّعوا الحقوق، وجرؤوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، محتاجة إلى غيرها، وسدوا على نفوسهم طرقًا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له، وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعًا أنها حق مطابق للواقع ظنًّا منهم منافاتها لقواعد الشرع، ولعمر الله إنها لم تناف ما جاء به الرسول، وإن نافت ما فهموه من شريعته باجتهادهم، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة الشريعة وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر. انتهى كلامه رحمه الله.

لازلنا نتساءل أين الدليل من كلام ابن عقيل على جواز المفاوضات والهدنة مع المحتل المغتصب؟!

هل يرى أحد شيئًا لا نراه نحن؟

هل لأنَّ ابن عقيل ذكر لفظ "السياسة" في أول كلامه أصبح مطابقًا لمنهجية المجلس؟

أم يريد المجلس أن نفهم أنَّ السياسة هي كسر القواعد الشريعة وتجاوز المحرمات؟

إنَّ الإيحاء الذي يسقط في نفس القارئ في كل مرة، هي أنَّ أصحاب هذه المنهجية أينما كانوا يريدون التوسع أكثر من حدود النص، وتحميل أقوال العلماء ما لا تحتمل، وأنَّ بُعد النظر بمجاوزة النصوص الشرعية، وأنَّ الاجتهاد بغير ضوابط مطلوب.

بل ما أحسن قول ابن عقيل، لو عقل المستدل به حيث يقول: (فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجرؤوا أهل الفجور على الفساد).

ثم أي غفلة من المجلس حين يستدل بقول ابن القيم، وكله حجة عليه: ولما طالت هذه الحال على المسلمين، أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصالح عيينة بن حصن، والحارث بن عوف رئيسي غطفان، على ثلث ثمار المدينة، وينصرفا بقومهما، وجرت المراوضة على ذلك، فاستشار السعدين في ذلك، فقالا : يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا، فسمعًا وطاعةً، وإن كان شيئًا تصنعه لنا، فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرىً أو بيعًا، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف. فصوَّب رأيهما، وقال: (إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة).اهـ.

ونقول: أيستدل بهذا الدليل من عنده أيُّ دليل غيره؟

هل خلافنا معكم على جواز إعطاء العدو مالاً لينصرف عن عدوانه على أرض الإسلام؟

هل تحفظون عنا كلمة منطوقة أو مقروءة نقول فيها إنَّ ذلك لا يجوز بإطلاق؟!

لِم لا تحرروا موطن النزاع؟

أخرجوا لنا وجه الدلالة من دليلكم هذا على ما قمتم به من هدنة وصحوات، ولا تحيدوا عن موطن النزاع بيننا، ونحذركم من ليِّ أعناق النصوص، وتحريفها، والتلبيس على الناس، فهذا ليس من أخلاق المؤمنين.

إنَّ مسألتنا في وادٍ، وما استدللتم به في واد آخر، غاية ما أراد فعله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُفرِّق شمل الأحزاب الذين يريدون غزو المدينة بإعطاء

بعضهم من ثمار المدينة، حفاظًا على أرض الإسلام من أن يدنسها الكفار، فأين هذا من فعلكم، الذي فيه إقرار للمحتل في أرض الإسلام، ولو مدة من الزمن، وفيه تأمين للصليبيين في بعض المناطق، ومنع للمجاهدين من استهدافهم أو الوصول إليهم.

إنَّ العدو الصليبي أقرَّ سيطرتكم على مناطق معينة مقابل أن لا يُضرب في هذه المناطق، وسيطرتكم لاتتم حتى تقاتلوا بعض المجاهدين من أهل الغلو وغيرهم، فلما قاتلتموهم، وأحيانًا بمساعدة الصليبيين، وطردتموهم ظننتم أنَّ الجو خَلا لَكُم، وأنَّ الصليبيين سيوفون بوعودهم، وتبقى هذه المناطق لكم، فإذا بالجيش الرافضي يقتحم هذه المناطق، ويطردكم منها، بعد أن كانت محرمة عليه لا يستطيع دخولها، و لم يُحرِّك الصليبيون ساكنًا!! أليس هذا ما حصل يا دهاقنة السياسة؟!

أرأيتم كيف ضحك عليكم الصليبيون، واستخدمكم يدًا لضرب المجاهدين؟! فلو أنَّ هذه المناطق بقيت بيد أهل الغلو- على ما بدا منهم من ظلم - فهذا خير للإسلام والمسلمين من أن تسقط بيد الزنادقة من الرافضة، فأهل الغلو مسلمون من أهل القبلة، أما هؤلاء الزنادقة فهم ليسوا من أهل القبلة.

أليست هذه هي الموازنة الشرعية الصحيحة؟!

والله إنَّ عجبي لا ينقضي من تحريفكم لمعاني النصوص، وبخاصة أنَّ منكم من ينتسب لمنهج السلف.

الظاهرة الرابعة: تمنهج الرأي الخاطئ والدفاع عنه والدعوة إليه وشرعنته!

وهذا من أصعب النكبات المنهجية التي ينبغي أن نجاهد بكل ما أوتينا من قوة للحيلولة دون وصول أثرها إلى الصفوف، والحيلولة دون حصول قبول العقول لها.

إنَّ خطأً يقع فيه أيُّ فردٍ من الأفراد، فيقام عليه الحد، ولو كان حد الردة، خطأ يموت مع موت صاحبه، أو يقطع بقطع يد صاحبه. أما الخطأ المنهجي والمنهج الخاطئ فإنه يجرجر ضحايا، ويسقط مستقيمين، ويجرِّئ مترددين، وهو فوق ذلك يفرِّخ- مع الأيام- أفكارًا أكثر انحدارًا.

ولذا كان الواجب على كل المجاهدين المنصفين من أهل العلم، ومن أبناء الفصائل جميعًا وقادتها، الانتباه وأخذ الحيطة والحذر من هذه المنهجية الخاطئة، وما جرَّته على البلاد عامة، وعلى المجاهدين خاصة، مما سوف أوضحه الآن بإذن الله تعالى، وعليهم أن يدركوا ما بقي ومن بقي! ويستدركوا ما يمكن استدراكه، فإنَّ الأمر من الصعوبة بحيث لا يمكن تصور أضراره الآن، ذلك أنَّ الكثيرين لم يكونوا يتصورون أضراره أول مرة حين نبتت نابتة السوء وبزغت بها رؤوس الشياطين أول مرة، وكثيرون دافعوا يومذاك بحسن نية واغترارًا بأصحاب القول وهم اليوم من أشد أعداء المنهج الخاطئ.

وهذه الظاهرة ظاهرة تحويل الرأي الخاطئ إلى منهج متبع يُدعى له، ويستدل له، أمرٌ يشهد له مقال المجلس السياسي بكل وضوح، وفي مواضع كثيرة، وإليك هذه النقاط:

النقطة الأولى: قولهم: (**إنَّ المتفحص لهذا المقال يخرج بنتائج مؤسفة ومخيبة للآمال تصف القيادة السياسية لهذه الجماعة ونبرتها الجديدة الغريبة التي تخالف ما عرفناه عنهم من التزام لمنهج الوسط والواقعية التي لا تصادم مع الشرع وحسن الظن بإخوانهم وإعذارهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً فبدؤوا يكيلون التهم جزافًا ويسيؤون الظن بغيرهم ويزكون أنفسهم ويجنحون إلى الخطب الحماسية غير المدروسة ولا الواعية فلم يدعوا للغلاة مجالاً يضيفون عليه**)

عجيب هذا التصنيف لنا بأننا كنا على الوسط، وأصبحنا اليوم على غير الوسط، أي على منهج متطرف، وقد نص كاتبهم على ذلك كما سيأتي، ولا يهمنا بحث هذه

المسألة، ولكن الذي يهمنا هو وصفنا حين كنا معهم في المجلس بأننا وسط وأنهم أصحاب المنهج الوسط الذي ما زالوا قائمين عليه!

يكفي طالب الحق ليعرف الحقيقة أن ينظر فيمن يصف نفسه بالوسط والوسطية من الجماعات والأحزاب في الساحة الإسلامية ليلحقكم بهم أيها الوسطيون أصحاب الوسطية.

إنَّ من الدواهي المنهجية أن يعتقد من كان يتخفى بالأمس بالمفاوضات، وينفيها عن نفسه نفيًا قاطعًا، ويتهم صحبه المشاركين بها بأنهم شاذون عن طريقته غير ملتزمين بأمره أن يأتي اليوم ويعلن اتّباعه طريق المفاوضات مع الصليبيين، وإعلان ذلك، ويقبل الهدنة من غير خوف الاصطلام، هل يعد هذا منهجًا وسطًا؟ أليس هذا تحولاً منهجيًا مخيفًا؟! وهل من مصداقية تبقى لمن هذه مواقفه؟

النقطة الثانية: في جوابكم على إنكارنا على كلام أمين مجلسكم قلتم: (**وهذا من الحشو والهذيان الذي لا داعي له إذ إن الرجل اعتمد على السنة في إثبات جواز التفاوض مع العدو وليس موافقة للناس فأين التردي والانحراف، ولماذا تظنون أنكم المتفردون بفهم الشرع الحكيم والعمل به وتعلمون أننا نصدر في مثل هذه المواقف عن أهل العلم ومنهم من تعرفونهم**) **اهـ**.

لا ندري لماذا يحيد المجلس السياسي عن مسائل الخلاف بيننا؟

أليس هذا من التلبيس على القارئ؟

فهل عندكم قول عنا أو عن أحد من العلماء على عدم جواز المفاوضات بشكل مطلق مع العدو؟

كان المفترض أن تقولوا: هل تجوز المفاوضات مع العدو المحتل للبلد للتوصل إلى هدنة يأمن فيها العدو في بعض مناطق البلاد أمنًا مطلقًا ملزمًا لنا إلى فترة غير محدودة؟

أتجوز المفاوضات لإنشاء قوى أمنية مثل الصحوات واللجان الشعبية؟

على هذا النحو ينبغي أن تطرح الأسئلة...

إنَّ طريقتكم في الحوار يا أصحاب المجلس كمثل من يقول: هل يجوز الاجتماع ما بين المسلمين والكفار؟ ويريد بذلك الجواز مطلقًا، بينما اجتماع المسلمين مع الكفار يمكن أن تجري عليه الحالات الخمسة للحكم التكليفي من واجب ومندوب ومكروه ومحرم ومباح، يمكن أن يكون اجتماع دعوة، أو أمر بمعروف ونهي عن منكر، ويمكن أن يكون تجارة نافعة، ويمكن أن يكون تجارة محرمة، وصور ذلك لا تحصر، فلا يمكن أن نحصر المفاوضات جميعًا بجواب واحد كما تريدون!

لقد كررنا مرارًا- حتى نبيِّن للقارئ تلبيساتكم- أنَّ تفاوضاتكم مع العدو أثمرت صحوة ولجانًا شعبية تؤمِّن بعض المناطق للعدو المحتل، وأنتم تفاوضون الآن من أجل حصة في حكومة عميلة، وهو ما عنيتموه بقول أمين مجلسكم: "إعادة التوازن في مؤسسات الدولة". لماذا لا تكونوا أكثر شجاعة وتؤصِّلوا لهذه المسائل بوضوح، وتفصحوا عن حقيقة قناعاتكم في مثل هذه المسائل كالدخول في البرلمان والوزارة وغيرها من مسائل الخلاف بيننا؟ ابتعدوا عن العموميات، وحرِّروا مواطن النزاع ببحوث شرعية مؤصلة.

فهل أصبح تفاوضكم مع العدو بالصورة التي ذكرناها سنة من سنن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قياسًا على الحديبية؟

وهل من لم يفاوض مثلكم مخالف للسنة؟

إنَّ الجرأة على استخدام الأدلة الشرعية وتسخيرها لتوافق مفاوضاتكم أمرٌ أبعد من الخطأ في الاجتهاد... إنه التغرير باسم الشرع! ولقد بينا بوضوح الفوارق بين مفاوضاتكم مع الصليبية التي أفضت للهدنة المحرمة ومفاوضات النبي صلى الله عليه وآلــه وســلم في الحديبية في كتاب "وصفة الصياد" والتي كل فارق كفيل بمنع هذا القياس الباطل.

فسبحان الله كيف كشفت هذه الكلمة التي ذكرها أمين المجلس وكررها المجلــس السياسي في بيانه ظاهرة منهج جديد في الطرح، وذلك عند المقارنة ما بين ما كانوا عليه وما آلوا إليه، ومكمن التحول هنا في الأصول، فإنَّ الأصل في علاقتنا بالمعتدين من الذين كفروا ليست هي التفاوض، وإنما هي الجهاد والقطيعة والطرد والقتل والأسر، قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩).

﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (التوبة: ١٤).

فكيف أصبحت هذه التفاوضات مع المحتلين سنة؟!

وقد كانت من قبل سيئة؟!

ما سر هذا التحول في النظر للأحكام الشرعية؟!

النقطة الثالثة: قال المجلس السياسي: (أما يسع كلاً منا أن يكون على ثغر من ثغر الإسلام...).

سبحان الله: كيف أصبح تفاوضكم مع الصليبيين حراسةً وهم محتلون لثغرٍ من ثغور الإسلام؟!

إنَّ دغدغة العواطف الإيمانية بمقولة: "كلاً منا على ثغر من ثغور الإسلام" تلبيس وإلباس المصطلحات الشرعية للأفعال التي لا يُقرها شرع الله؟

لكنَّ هل المفاوضات الجارية مع هذا المغتصب لأرضنا وبلادنا وما يتبع ذلك هو حراسة لثغر الإسلام أم لثغر الصليب؟

هل هو تأمين له من هجمات أهل الجهاد وإقرار له في البلاد أطول فترة ممكنة أم لا؟

وماذا لو قبل كل المجاهدين، فتحولوا إلى مفاوضين (صحوات) ألا يكون ذلك منتهى أماني العدو؟

ألا ترون قلق العدو العظيم من عدم موافقة المجاهدين الثابتين على الدخول في مفاوضات معه؟

ألا يتمنى العدو أن يدخل الجميع في مفاوضات معه؟ أجيبوا بالله عليكم.

والجواب: ليس لكم إلا أن تقولوا: ليس من شك أنه يتمنى ذلك. وهنا نسألكم: ألا يعني هذا أنَّ مطلبكم ومطلب العدو منا واحد؟ من الذي يجب أن يتنازل عن خطه، أنحن أم أنتم؟

وبطريقة أخرى: أتريدون أن نتوحد مع العدو أم ضده؟

هل قال الله أطع الكافرين أم قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ (الأحزاب). وقال سبحانه: ﴿ وَلَا

تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

(الأحزاب).

والله إنه انقلاب!

يا أصحاب المجلس: إنا لنخشى أن تغرروا ببعض من معكم في المفاوضات التي لا يُقرها شرع الله، والتي أفضت إلى الهدنة والصحوات، وتمنحوهم أجر الرباط وأجر الحراسة من خلال أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم تمنحوا من يموت في أروقة المفاوضات أحاديث الشهادة في سبيل الله.

الظاهرة الخامسة: تقليد أهل الباطل في اتهام المخالفين:

لا يزال أهل الباطل يستخدمون أسلوب اتهام أهل الحق بتهم باطلة؛ ليقدموها للآخرين رماحًا يطعنون بها أهل الحق، وعادة ما يكون مقصود من يكيل التهم لأهل الحق ليس هو الحق والنصح؛ بل مقصوده إضلال الناس عن الحق، وجمعهم على ما يريد، وإسقاط الآخرين بأيِّ ثمن، ومن خلال جمع نقاط اتهام المجلس لنا ترى كيف أصبح ذلك مظهرًا من المظاهر، وإليك بعض التهم التي كالوها:

الأولى: التجرؤ على تكفير أهل الجهاد والإسلام!

قال المجلس في رسالته: (إنَّ ما تقوله أيها الكاتب تكفير لفصائل المجلس).

فليخرج لنا كاتب المجلس والمجلس الكاتب أين التكفير في كلامنا لفصائل المجلس؟

وهذه كتبنا معروفة منشورة، أما إن كانوا يقصدون تكفير من أعان الأمريكان فهذا حق نقول به، **وقد فصلنا في ذلك، وقلنا "في عباد الله تمايزوا"**: لربما تصور من لا يعلم، أننا ممن يهوِّل الأمر، ولكن من علم أيَّ مدًى بلغ هؤلاء، وإلى أيِّ الأنفاق جمحوا

لعذرونا، فإنه قد ثبت لدينا أنَّ بعض جماعات المجلس السياسي قد انقسمت إلى ثلاثة أقسام:

أما القسم الأول: فهم رجال مجاهدون ليس لهم صلة بالمحتلِّ، وهم على العهد، و لم يبدِّلوا تبديلاً، ثبتهم الله، وزادهم من حفظه. ولا يعذر هؤلاء بالبقاء مع أمثال هذه الجماعات إلا بدوام الإنكار عليهم، حتى ييأسوا من عودتهم إلى الحقِّ أو يغلبَ على ظنهم ذلك، وعندها تجب عليهم "المفارقة"، ولا يحلُّ البقاء لحظةً بعدها، لحديث قيس بن حازم، أنَّ أبا بكر الصديق قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤن هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾، وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنَّ الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقابه) وفي رواية: (الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب) [١]. وعن جرير، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ما من رجل يكون في قوم، يَعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يغيِّروا عليه، فلا يغيِّروا، إلا أصابهم الله بعذاب، من قبل أن يموتوا) [٢].

وأما القسم الثاني: فهم مجاهدون، وبتعبيرٍ أدقَّ كانوا مجاهدين، لكنهم وقعوا في فخِّ المفاوضات والهدنة، وانضمُّوا إلى مجالس الصحوات، لكننا لا نعلم يقينًا عن هذا القسم أنهم ارتكبوا ناقضًا واضحًا من نواقض الإيمان، كأن يكون قتالهم لأهل الغلوِّ مستعينين بالصليبيين، أو أنهم أصبحوا أدلَّاءَ على عورات المسلمين أو سلاحهم ونحو ذلك، ولذا فإنَّ الحكم في هؤلاء الذين انحرفوا بالتأويل الفاسد المعروف أنهم فسقةٌ مرتكبون لكبيرة، نسأل الله تعالى أن يردَّهم إلى الحقِّ قبل أن يموتوا، ونتمنى عليهم قراءة "الجواب الكافي لمن نوى

(1) أخرجه أحمد ٢/١، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، والنسائي في "الكبرى" (١١٠٩٢)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وصححه الألباني وشعيب.

(2) أخرجه أبو داود (٤٣٣٩)، وابن ماجه (٤٠٠٩)، وابن حبان (٣٠٢)، وحسنه الألباني وشعيب.

الهدنة مع العدوِّ ظاهراً أو خافي" أو "وصفة الصياد"، فإنه قد أجاب عن شُبَهِ المنحرفين بالأدلة الشرعية.

والحكم بالفسق على هؤلاء إذا اقتصر عملهم على الهدنة فقط[1]، وإلا فمن الناحية العملية يصعب ألَّا يقع هؤلاء في الكفر، فإنَّ الكفر- كما هو معلوم عند أهل العلم- يقع بكلمة، بل أحياناً بسكوت أو إشارة، فهل يستطيع هؤلاء الذين انضمُّوا إلى مجالس الصحوات أن يحفظوا أنفسهم من كلِّ ذلك؟ فلذلك ينبغي لهؤلاء ألَّا يستمرئوا هذا المنكر العظيم، ولا يستمرُّوا فيه، وليعلموا- والله أعلم- أنهم لن يتوقفوا عند الدرْك الذي بلغوه، ولسوف يزدادون هُويًّا، وكلَّما بلغوا دركاً استمرؤوه، ونخشى عليهم أن تكون الخاتمة في الدرك الأسفل. نعوذ بالله من ذلك.

ولو نظر أحدهم أين كان قبل ستة أشهر مثلاً؟ وأين هو الآن؟ وأين كان قبلها بستة أشهر سابقة؟ وأين كان قبل سنتين؟ لأدرك أنَّ المسألة خطيرة، وأنَّ الخاتمة تجري نحو السوء المحقَّق الذي ليس له من دون الله كاشفة. قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء.

<u>أما القسم الثالث:</u> فهم أفرادٌ قليلون، فيما نعلم[2]، قد وقعوا في الردَّة- نعوذ بالله تعالى- إذ أجازوا لأنفسهم أن يقاتلوا أهل الغلوِّ مستعينين بالصليبيين، أو يكونوا أدلَّاء للمحتلين على عوراتهم، وهذا عندنا ردَّةٌ وكفر أكبر[3]، وإن كنا نرى أنَّ أهل الغلو قد

---

(1) لأنَّ الهدنة في جهاد الدفع غير مشروعة كما قرر الفقهاء إلا إذا خشي المسلمون الاستئصال التامَّ (الاصطلام)، وترك جهاد الدفع مع القدرة فسق. راجع تفاصيل هذه المسألة في كتاب "الجواب الكافي لمن نوى الهدنة مع العدو ظاهراً أو خافي".

(2) وقيل إنهم كثر، والله أعلم.

(3) يقول الطبري (٦/٣١٣)، عند تفسير قوله تعالى: (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين... الآية): ومعنى ذلك: لا تتخذوا، أيها المؤمنون، الكفار ظهرًا وأنصارًا، توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك (فليس من الله في شيء)، يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر.اهـ.

أساؤوا كثيرًا كثيرًا، وقتلوا الكثير بغير حقٍّ، وشوَّهوا صورة الإسلام والجهاد، وانتهجوا سياسة بدعية في مسائل كثيرة، كالتعامل مع المخالف، وفتح جبهات كثيرة لا طاقة للمجاهدين بها، وتأمير الجهلة الأحداث، وعدم احترام أهل العلم، وكانوا هم السببَ الأكبرَ في فقدان المجاهدين حاضنتَهم الاجتماعية بسبب الأفعال السيئة لكثيرٍ من أفرادهم[1]، ولكنَّ منكراتهم العظيمة هذه لا تبرِّر أبدًا أبدًا الارتماء في أحضان المحتلين عبَّادِ الصليب.

وهذا القسم الثالث (أعني من بعض جماعات المجلس)، وإن أنكرتْ قيادتُهم وجودَهم فيهم، فإنا نعرف أعيانهم، كما نعرف حوادثهم في ذلك.

ونحن، والله الذي لا إله سواه، لنتمنى ألَّا يكون الصنفان الأخيران موجودَين مع إخواننا، ولا نريد أن ندخل في لجاجة وجود القسم الثالث أو عدمه، إلا أنهم لا ينكرون وجود القسم الثاني الذي أصبح هو التيارَ القادمَ، بل التيارُ العارمُ فيها، وعليه فقد أصبح لزامًا على هذه الجماعات أن تُطهِّر صفوفها، ويجب على الأفراد المخلصين في هذه الجماعات أن يقوموا بدورهم داخل جماعاتهم، وإلا فالنجاةَ النجاةَ إن أصرَّ القادة على طريق الهلاك. ومن ذا الذي يرضى أن يبقى لحظةً في صفٍّ يصرُّ قادته على الضلال؟

ويقول الخرشي المالكي في شرحه على مختصر خليل: (والمشهور أنَّ المسلم إذا تبين أنه عين للعدو، فإنه يكون حكمه حكم الزنديق، أي: فيقتل إن ظهر عليه، ولا تقبل توبته، وهو قول ابن قاسم وسحنون).

(1) هذا هو الحكم العام في أهل الغلوِّ، وهو حال كثير منهم فيما نعلم، ولا يُنكَرُ أبداً أنَّ فيهم أفاضلَ أبطالاً قد بذلوا مهجهم لنصرة هذا الدين، وقد أحدثوا نكاية عظيمة في الكفرة المحتلين. ومما ينبغي ذكره أيضاً أنَّ كثيرًا من خيارهم قد قُتل، أما من بقي الآن فكثير منهم يغلب عليه الجهل، وسوء الظن، والحكم على الناس بلا تثبت، وترويج الشائعات، والغلو في التكفير، والاستهانة بالدماء، والحزبية المقيتة. ولا يشك في هذه الحقائق الثابتة بالتواتر إلا متلبس بما ذكرنا أو من لا يعرف الواقع. ويخطئ خطأً فاحشًا عظيمًا من يظن أنهم على منهج الشيخ أبي محمد المقدسي، أو الشيخ أبي بصير الطرطوسي أو الشيخ أبي قتادة الفلسطيني. والذي يقرأ (وقفات مع ثمرات الجهاد) لأبي محمد، و(الجهاد والسياسة الشرعية) لأبي بصير، و(جؤنة المطيبين) لأبي قتادة، ويعرف واقع القوم يدرك صحة ما نقول. ووالله لو كانت أخطاؤهم قليلة أو في مسائل اجتهادية لما تحدثنا عنها، ولكنها أخطاء أساءت للمشروع الجهادي وللمنهج السلفي أيما إساءة.

وهنا ينبغي أن نكرِّر ونؤكِّد أنَّ نظرتنا إلى أفراد هذه الجماعات **تختلف عن نظرة أهل الغلوِّ**، فهم يرونهم صنفًا واحدًا، ونحن نراهم ثلاثة أصناف كما بيَّنًا، ولا يقال: إنَّ الصنف الأول له حكم الصنف الثاني أو الثالث لأنه ساكت، فالصنف الأول ينفي وجود الصنف الثالث، ويتأول للصنف الثاني، وهنا موطن الخلاف بيننا، فنحن نرى أنَّ تأويلهم فاسد لا يقبل شرعًا.

وليعلم القارئ الكريم أنَّ هذه الانحرافات الموجودة عند البعض لم تكن موجودة عندهم في السابق، ولكنَّ المكر الأمريكي استطاع أن يستدرج الجهَلةَ وضعافَ النفوس بحجة قسوة الصفويين، وكان للسياسية السيئة التي انتهجها أهل الغلوِّ أثرٌ كبيرٌ في دفع هؤلاء إلى الحضن الأمريكي الدافئ!

ونؤكد كذلك أنه مع خلافنا الشديد وفراقنا لفصائل الجبهة والمجلس، إلا أنه ليس كل ما يقال عنهم من سوء صحيح، فنحن أهل العراق– وللأسف الشديد– معروفون ومنذ القرون الأولى أنه إذا دخل الخبر عندنا شبرًا خرج ذراعًا، هذا في القرون الأولى، أما الآن فيخرج مئة ذراع. فعلى المسلم الذي يخشى الله أن لا يتلقى الأخبار بلسانه، ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ النور، وأن يتثبت ويتبين ويستشير أهل العلم فيما يصله من أخبار، ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾، وأن لا يكون التثبت في الأخبار السيئة مع أفراد جماعته فقط، كما هو حال كثير من المسلمين للأسف، لا يتثبتون إلا مع من يحبون، أما إذا بلغهم خبر سيئ عن جماعة أخرى فإنهم يتلقونه بألسنتهم، وينشرونه دون تثبت أو تبيُّن، وهذا ليس من خلق المسلم، و(كفى بالمرء إثماً أن يُحَدِّث بكل ما سمع)

و(كفى بالمرء كذباً أن يُحَدِّث بكل ما سمع)[١]، كما صح عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى المسلم الصادق كذلك أن لا يُطلق الأحكام جزافًا، فإذا صح عنده خبر سيئ عن قاطع ما تابع لجماعة جهادية معينة، فلا يجوز أن ينظر إلى هذه الجماعة من خلال هذا القاطع فقط، فقد يعتري الأمر ملابسات نجهلها...

فينبغي لمن يحرص على دينه أن لا يتكلم في المسلمين باللوازم والأخبار المنقطعة والتحليلات الغريبة المبنية على سوء الظن، والحذر الحذر من الوقوع في أعراض المجاهدين، أو ترويج إشاعات المجاهيل، وتأمل قول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: (من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رَدغة الخبال حتى يخرج مما قال)[٢]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق)[٣]، فكيف إذا كان الكلام في جماعة جهادية كاملة؟ واحفظ لسانك إلا من يقين ترجحت مصلحته، فذلك أسلم لدينك وقلبك وآخرتك، ورُبَّ كلمة في الفتنة سفكت دماءً، وأخَّرت نصر الإسلام والمسلمين، ولعلها تدخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنَّ العبد يتكلم بالكلمة، يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)، وفي رواية: (إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة، لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار)، وفي رواية: (إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)، وفي رواية: (إنَّ العبد

---

(1) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (٥)، وأبو داود (٤٩٩٢)، وابن حبان (٣٠)، والحاكم ١/ ١١٢.

(2) أخرجه أحمد (٥٣٨٥)، وأبو داود (٣٥٩٧)، والطبراني (١٣٤٣٥)، والحاكم (٢٢٢٢)، والبيهقي (١١٢٢٣)، وصححه الألباني وشعيب. قوله ﷺ: (ردغة الخبال) أي: عصارة أهل النار. وقوله ﷺ: (حتى يخرج مما قال)، قال في عون المعبود: قال القاضي: وخروجه مما قال أن يتوب عنه ويستحلَّ من المقول فيه.

(3) أخرجه أحمد (١٦٥١)، وأبو داود (٤٨٧٦). قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير نوفل بن مساحق وهو ثقة.اهـ. وصححه الألباني وشعيب.

ليتكلم بالكلمة، ما يتثبت فيها يزلُّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)[1].انتهى الاقتباس من "عباد الله تمايزوا".

هذا ما قلناه فيكم يا أصحاب المجلس السياسي.

لكنَّ الشاهد من هذا الدليل هو الاستدلال على أنَّ اتباع أهل الباطل أصبح ظاهرة ومن مظاهره عند أهل الباطل اتهامهم أهل الحق بالتكفير والجرأة عليه.

الثانية: اتهام المخالف بقصر النظر:

جاء في بيان المجلس: (مجانبة الأسلوب العلمي والاستدلال العقلي الرصين في الرد، والجنوح إلى التهويش والمهاترات ومجافاة الأمانة العلمية.

ادعاء الاستقامة على المبادئ والطهر والزكاء والثبات على المنهج واتهام الآخرين بالتخلي والانحراف، بينما طريقة السلف في هذا الموطن أنهم كانوا يتهمون أنفسهم ويعكفون على إصلاحها ويرون إخوانهم خيرًا منهم.

السطحية والسذاجة في الطرح والمجادلة بالباطل وقد كان سلفنا أهل فقه ورسوخ في العلم وعمق في الفهم وأهل عمل لا جدل.

النظر من زاوية ضيقة ورؤية قاصرة ومحاولة إلزام الآخرين بما ألزموا به أنفسهم). **انتهى كلام المجلس.**

(1) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٧٥٩٠)، وأحمد (٧٢١٤)، والترمذي (٢٣٢٤)، والنسائي في "الكبرى" (١١٧٧٣)، وابن حبان (٥٧٠٦).

وقد أكد البيان في مواضع عدة على اتهامنا بقصر النظر وما إلى ذلك من مصطلحات. ولو أننا جلسنا مع الأمريكيين كما فعلوا لأصبحنا بعيدي النظر وأهل فهم وعمق في السياسة!!

فبُعْد النظر هو ما يتفاخر به عادة جميع الذين يريدون التخلف عن الجهاد، ذلك أنَّ بُعْد النظر عند هؤلاء في ترك التهور- كما يزعمون-، والتحول إلى أساليب ليس فيها صِدام، وحفظ الجبهة الداخلية لأنَّ في الخروج مخاطرة، وانتفاء إمساك العصى من وسطها، وعدم حسبان الحساب لعواقب الأمور.

فكم هي آيات الله تعالى واضحة تجعل واقعنا ينطق بذاته، وكل فريق يعرف نفسه، فتأمل قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (المائدة: ٥١ – ٥٣).

وتأملوا يا أصحاب المجلس **بعد نظر المنافقين** لعلمهم بمجريات الأحداث، وتحليلها، ونتيجة ذلك عندهم أنه لا قتال، كما قال سبحانه عنهم: ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾(آل عمران).

وتأملوا بعد نظرهم الذي يدرك نتائج الأحداث، والموت، والحياة، وإزهاق الأرواح وحفظها، كل ذلك مبني على الأخذ بنظرهم البعيد، ونصحهم الفريد، والذي

غايته ألا تقاتلوا! قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (آل عمران).

تحليل الأمور وتقليبها وفلسفتها، كل ذلك لغاية واحدة لا غير، هي أن لا يخرجوا للجهاد، فقال سبحانه عن بعد نظرهم هذا: ﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (التوبة). وما إلى ذلك من وسائل تظهر اعتدادهم ببعد نظرهم وقصر نظر المؤمنين الخارجين للقتال، وعلامة الضلال في هذا الأمر كله هو أنَّ غاية كل التحليلات التي يظهرونها واحدة، تلك هي إلغاء الجهاد في سبيل الله، والتخلف عنه، ذلك أنَّ القتال الفعلي فيه قصر نظر؛ لأنَّ فيه قصر حياة- حسب ظنهم- كما قال سبحانه محددًا غاية أعذارهم: ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ ﴾ (الأحزاب: ١٣)، وقال سبحانه: ﴿ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (التوبة).

لقد أوحى كاتب المجلس بأنَّ ترك المفاوضات مع الصليبيين دليل على قصر النظر؟! وكأنَّ المفاوضات دليل على بعد النظر؟!

وعادةً من يُتهم بقصر النظر من قبل هؤلاء وأمثالهم، هم أولئك الذين يكون مأخذهم الأساس هو اتباع النصوص.

أيها المجلس: دعوا التزيين بالكتابة والألفاظ، ودعوا التلبيس، وتعالوا انظروا في ثمرات الميدان، فقصارى هذا الذي تكتبونه أو تقولونه أن يكون بذرًا، والعبرة بالثمرة، فما هي ثمرة بذر مفاوضاتكم؟

ونحن لم نأتِ اليوم لنتحدث عن المفاسد المترتبة على المفاوضات كما أوهم المجلسُ الآخرين، فالأمر عندنا ليس أمرًا مستحدثًا، ورؤية المفاسد التي سيجرها التفاوض مع المحتلين كانت قديمة راسخًا، وهي بحمد لله تزداد شواهد للجميع على ما ذكرنا من قبل... **وإننا لنرى من الأهمية البالغة أن يعيد المجلس قراءة الفصل الرابع كله من كتابنا "الجواب الكافي أو وصفة الصياد".**

الظاهرة السادسة: ترك الدليل الجلي وادعاء الدليل الخفي:

لا يخفى على أيِّ ناظر في هذا المقال القصير الذي كتبتموه- أيها المجلس- كيف أنَّ منهجية المجلس في الرد علينا أوغلت في الاستدلال بأحداث خفية عن أعين الناس مع أنه ليس على ما ذكروا منها أي علامة صدق أو شارة شهادة حق.

فلا يدري الناظر في هذا المقال، هل المطلوب منه أن يقرأ ويسلِّم ثم يسقط الطرف الذي يريد إسقاطه أصحاب المقال؟ أم المطلوب أن تجعل شهادتكم إيمانًا بالغيب؟ فتأمل شهادة الخفاء في نقاط:

النقطة الأولى: قولهم: (وما هو رأيكم إذا علمتم أنَّ قيادتكم هي أول من طرح فكرة التفاوض والجلوس...)، وقد مرت معنا. قولوا ما شئتم ولكن: أين الشاهد؟ وأين الإثبات؟ والله يشهد أنَّ ذلك غير صحيح، ومواقفنا في الميدان وكتبنا القديمة شاهدة على كذب ما تقولون.

النقطة الثانية: قولهم: (كما أنَّ قيادتكم صرحت في جلسة خاصة...) وقد مرت معنا. الله أكبر: الله يشهد أنَّ ذلك غير صحيح.

النقطة الثالثة: قولهم: (أوكل المجلس إلى الوسيط أمر مفاتحه...)، وقد مر معنا. وهذا البهتان يُلجئنا إلى أمور عدة:

الأمر الأول: ينبغي أن لا يضيع الناس بين مخبر ومكذب، فنحن وإياكم الآن في موقع خصومة، وكلام الخصم لا يؤخذ في خصمه، كما مر معنا في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى هذا فلتسقط جميع القصص التي ذكرتموها بالخفاء إلا ما أظهرتم دليله.

فعن ابن عباس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قضى أنَّ اليمين على المدَّعى عليه[1]. قال أبو عيسى الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهم أنَّ البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه.

ونحن نقسم بالله أنَّ كلامهم محضُ افتراء.

الأمر الثاني: مادام دليل المجلس غيبًا عن أعين الناس كما رأينا، فلننظر في الأدلة الجلية الظاهرة المنتشرة؛ لنرى موقف كل فريق من المفاوضات، وهل فعلاً نحن كنا أصحاب فكرة المفاوضات، أو كنا مشاركين فيها ؟!

أيها المجلس: هل يُعرف رأي المرء إلا مما سَبَق من كلامه أو كتابته؟ هل نؤاخذ بدعاوى تقال عنا نحن نتبرأ منها، أم نؤاخذ بما كتبتْه أيماننا ولازلنا عليها ونفخر بها ونعلنها؟

أتريد من أحد أن يصدقك في قصص تقولها في حقنا، وتلصقها بنا إلصاقًا، بينما نحن نتبرأ منها وننفيها صراحة ونريك الشهادة البينة على أنَّ موقفنا القديم كموقفنا الآن لم يتزحزح قِيد أنملة؟!

هل تريد أن نترك كل ذلك، ونأخذ بأخبارك، وأنت ترى هذه الأدلة، وهي كتبنا التي انتشرت على جميع الفصائل وجميع أرجاء البلاد، ويشهد بها القاصي والداني.

---

(1) أخرجه البخاري (٢٥١٤)، ومسلم (١٧١١)، وأحمد ٣٤٣/١، وأبو داود (٣٦١٩)، والترمذي (١٣٤٢)، وابن ماجه (٢٣٢١)، والنسائي ٢٤٨/٨، وابن حبان (٥٠٨٢).

فكتاب "وصفة الصياد" أو "الجواب الكافي لمن نوى الهدنة مع العـــدو ظـــاهرًا أو خافي" (صدر) قبل سنتين وطبعنا منه آلاف النسخ، ووزعناه على الناس، وأنتم منهم.

ومن قرأه اكتفى به تمام الاكتفاء لإثبات إنكارنا الواضح عليكم ســـلوك طريـــق مفاوضات الصليبيين، وبيان المخالفات الشرعية لهذا الطريق، وبيان المفاسد المترتبة عليـــه، وبيان الشهود الواقعية في حياة الأمم على من اتخذ هذا الطريق.

وتاريخ هذا الكتاب يبطل بكل جلاء ووضوح ما ذكرتم، ويبين الاختلاق فيمـــا ذكرتموه، حيث ذكرتم أنَّ موقفنا في الإنكار عليكم جديد، وأنَّ اتصالاتكم مع العـــدو لم تبدأ إلا بعد خروجنا، **وشهد الله العظيم** أنَّ اتصالات بعضكم بالعدو الصليبي بدأت قبل خروجنا، وهي من أسباب خروجنا من المجلس. **والبينة عندنا**.

بالله عليك توقف عند هذه الكلمة جيدًا لتعرف من خلالها **مقدار المصداقية** فيما غاب عنك من أخبار يحكيها المجلس للقواعد والقراء. حيث قلتم في البيان: (قـــد تـــبين للقاصي والداني أنَّ المفاوضات بين المحتل والمجلس لم تحصل إلا مؤخرًا أي بعد انفـــصالكم بسنة...).

إذًا فكيف توفق بين هذه الدعوى وبين إصدارنا هذا الكتاب قبل ســـنتين؟ ولمـــن أصدرناه؟ وما دافع خروجنا عن مجلسكم الذي نقمتم علينا بسببه؟

وأيُّ دليل أكبر من أن نخرج لك كتابًا عامًا أصدرناه على الناس، والنـــاس عليـــه شهود؟ كتابًا صريحًا واضحًا يبيِّن سبب خروجنا، وهو "**عباد الله...تمايزوا**"، وكان ذلك بعد نحو شهر من الانفصال، وقد انتشر انتشارًا كبيرًا كما تعلمون، فهل من وضـــوح في الصدق والشهادة، يقابله بطلانٌ في الدعوى، مثل هذا الأمر؟

ونحن هنا ننشدكم الله سبحانه الذي أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا شيء أعظم من نشدته: ألم ننكر عليكم المفاوضات مع المغتصب وبينا لكم أسباب ذلك عندما كنا في المجلس... أجيبوا النشدة بالله عليكم؟

ألم نغلظ لكم القول لأجل شروعكم في التفاوض مع العدو الغاصب؟ أجيبوا بالله عليكم؟

ألم تنكروا وتتنكروا لاتصالاتكم مع العدو بادئ الأمر فذكرنا لكم أسماء المفاوضين من جماعتكم؟ أجيبوا بالله عليكم؟

ماذا أكثر من هذا: أتريدون أن نعلن أسماء من ابتدأ المفاوضات أولاً وأسماء من شاركوا فيها بعد ذلك؟

أم تريدون أن نذكر أسماء من فاوضوا وشكلوا الصحوات واللجان الشعبية مع الأمريكان منكم؟

نحن لا نقول هذا لكم من باب رد التهمة بتهمة أكبر، لا ولكنا نقول ذلك ونحن نشهد الله على ما نقول غير متجرئين على حرمات الله جل جلاله. ونمتلك الدليل الذي لا قبل لكم على تكذيبه.

ونحلف بالله الذي لا إله إلا هو أننا سألنا بأنفسنا الرجل الثاني في جماعة أنصار السنة (الهيئة الشرعية) وهو أحد مكونات المجلس: كم تتوقع عدد أفراد الجيش الإسلامي الذين دخلوا الصحوات؟ فقال: ٧٠٪ !!!. والأخ يجيز البقاء معهم طوال هذه المدة وهم على هذا الحال؛ لأنه يرجو إصلاحهم!!! وشاهد ما قال الانخفاض الكبير في عمليات الجيش الإسلامي؟!

وشاهده كذلك هذه الإمامة في التفاوض التي ما كانت إلا على حساب العمليات، وشاهده ما كشفه الله من الأمور عنكم حتى أصبح كل عراقي يشهد بهذا، وشاهده هو هذا الكتاب المسمى "شفاء العليل في تفنيد ما نسب إلى المجلس من أباطيل" الذي غايته الدفاع عن المفاوضات والهجوم في المقابل على من أنكر عليكم، واختار طريق الجهاد.

وعَجَبُنا والله من أنصار السنة: لم بقوا طوال هذه المدة وهم أعلم الناس بما يدور في المجلس والانحرافات المنهجية والممارسات التطبيقية، ماذا يرجون؟ وما الذي يخافون خسارته؟

وأيُّ حجة لهم عند الله بعد كل هذا البيان وبعد كل ما شاهدوه بأنفسهم؟

وأيُّ خصومة يستطيعون القيام لها أمام الله جل جلاله إذا قام لهم أتباعهم معلنين البراءة والشكوى؟

نعم يمكن أن تبقى معهم إلى المدة التي ترى أنك أعذرت إلى الله سبحانه، وأنك راعيت أمر وحدة الصف، واستجبت لطلب أهل العلم والصلاح الذين تدخلوا للوحدة، وأعطيتهم الفرصة الكافية لذلك- وهذا بحمد لله هو ما صنعناه- لكن حين تذهب كل هذه الأعذار، وينسلخ من البقاء في المجلس كل مبرر شرعي معتبر، وتمر أشهر وسنوات ومواقف إثر مواقف، فإنَّ البقاء في المجلس يصبح مشاركة في الباطل، وتعاونًا على الإثم والعدوان، ولا تبرير يمكن أن يقال بعدها لأنه لن يستمر لو انسحبت أنت وصحبك.

يا إخواننا: نشدناكم الله ألم نتفق بحضور بعض المشايخ الذين أرادوا الإصلاح بيننا على أن تخرجوا أفرادكم من البرلمان، وقد وقعتم ووافقتم على ذلك، ثم بعد مدة حصل

لقاء ثان بالمشايخ الفضلاء، وعاتبناكم وعاتبكم المشايخ على عدم تنفيذكم وعدكم فقال كبيركم، معتذرًا: حتى لو أخرجنا أفرادنا فإنَّ الحكومة لا تسقط فلا فائدة من إخراجهم. فرد عليه أحد المشايخ ممتعضًا: ولكنك قطعت وعدًا بإخراجهم.

إنَّ الخداع الذي رأيناه من قيادة الجيش الإسلامي لا يليق بمسلم عادي فعله، بل إنَّ الهيئة الشرعية لأنصار السنة، كانوا يشكون لنا كثيرًا كثيرًا من خداعهم وتلونهم، ولا ندري ما الذي يبقيهم معهم إلى الآن؟!

فإنَّ الأمر يصبح أمر ممالأة على المنكر، والممالأة على المنكر أعظم من فعل المنكر... فمن يأكل الربا كارهًا له أو يشرب الخمر معترفًا بإثمها راجيًا أن يتوب الله عليه ويتوب منها غير الذي يوقع عقد الربا راضية نفسه به، وأما من يكون في مجلس إدارة الربا أو مصنع الخمر فشأنه أكبر وأخطر وهذا هو الممالئ حتى لو لم يأكل هو الربا أو يشرب الخمر... وهكذا من يكون عضوًا في هذه المؤسسات.

فلينقذ من يستطيع نفسه وصحبه وجماعته، وليصححوا طريقهم، ويعين بعضهم بعضًا على الحق.

وإنَّ الاستظلال بظل حزب أو مؤسسة أو مجلس هذا حاله ينذر أصحابه بحكم خطير ... فالنجاة النجاة.

الأمر الثالث: استدللتم على أنَّ توجهنا اختلف عن قبل بدليل أوهم من لم يعرفه، وهو كتابنا (**جهاد بلا سياسة**).

ونحن نعلن لك بأنَّ ما في هذا الكتاب هو ما نقول به الآن، **فالكتاب المذكور لا علاقة له بما تفعلون من قريبٍ أو بعيد،** إنما أصَّل لمسألة مهمة في وقتها، تلك هي مشروعية التحالف مع المبتدعة لأجل الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين بالضوابط المذكورة

في الكتاب، وشرحنا فيه الأسس الأربعة عشر التي قام عليها البرنامج السياسي للمجلس؛ لأنه قد تبين لنا أنَّ فهمنا لبعض هذه الأسس مختلف عن فهم أكثر فصائل المجلس، فالبعض حمَّل الأسس أكثر مما تحتمل، كما رددنا في هذا الكتاب على مسألة التكفير باللازم ومسائل أخرى مهمة في السياسة الشرعية، وسوف ننشره بعد تنقيحه وإضافة فصول أخرى إن شاء الله، **والكتاب ليس له أي علاقة بالمسائل الكبرى التي نختلف فيها مع المجلس** كالهدنة مع الأمريكان في جهاد الدفع، والمتضمن إقرارهم في أرض الإسلام، ولو مدة من الزمن، ومنع المجاهدين من ضربهم، والدخول في البرلمان والوزارة في ظل حكومة الردة، ومساعدة بعض الأمريكان في مقاتلة أهل الغلو من المجاهدين، فهل يجوز بعد هذا أن توهم ما تبقى لكم من الأتباع بأننا غيَّرنا وبدلنا؟

وحين ننشره بإذن الله تعالى سوف يعرف هؤلاء الذين يحاولون الإيهام أنه أشد ما يكون عليهم؛ لأنه سيظهر أنَّ ما اتخذوه من طريق ليس من السياسة الشرعية في شيء، وأنَّ السياسة الشرعية لا تضاد القتال؛ بل هي قاطفة ثمراته، وأنَّ من يريدون قطف ثمار القتال اليوم إنما هم يحاولون قلب المعادلة، ولأجلها يقدمون تنازلات في الأصول، وأنَّ من يتقدم للسياسة الشرعية هم طراز خاص عقيدة وجهادًا وحكمة، وليس هو من يلوذ بالسياسة الشرعية فرارًا من الجهاد في سبيل الله...

ولكي نقطع لك الشك باليقين، فسوف ننقل لك بعض النصوص من مقدمة الكتاب وخاتمته لتستدل من خلالهما على ما في هذا الكتاب... فهو يذكر غاية هذا الكتاب في المقدمة فيقول: (ولذا فإني أريده بحثًا يفتق البصائر لترى الحقائق قبل وقتها، ويكشف المكر الخفي قبل أن يزيل الجبال عن أصولها! ويسد الخلل الكبير الذي تعانيه الساحة الجهادية، كما تعانيه عقولنا الجهادية، ويغلق الباب أمام من يريد قيادتنا بسفاهة حلمه باسم الإسلام والجهاد، أو بخبث عمالته باسم العراق!

ويقضي على فكر المداهنين، الذين خدعوا بالسياسة وظنوا أنهم تشربوها وما تشربوا إلا سمها، وما بلغوا ساحلها ولا اسمها.

بحث يكشف عن بعض كنوز السياسة الشرعية في الكتاب والسنة وعند سلفنا الصالح، ويعيد الظفر في ميدان السياسة لنا لنقطف ثمر الجهاد بإذن الله جل جلاله)[1].

وانظر في خاتمة الكتاب: (متى نتلقى الدراسة العلمية المؤصلة بنور الكتاب والسنة، فنكشف بها فعليًا ظلمة الجهل والغلو وظلمة التميع والضرار؟

متى يقف أحدنا أمام الدراسة الشرعية بعدما يتلقاها بقوة، وقفة الآخذ برسالة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإما أن يوصلها وإما أن يموت دونها فيعذر إلى الله؟

متى يقول أحدنا معاهدًا الله: أنا جندي من جنود الإسلام لا أمِنٌّ ولا أشترط أينما تكون مصلحة الإسلام فأطلقوني فإني سهمه الثالب، وشهابه الثاقب؟

متى تحيا الدراسة الشرعية من الدراسة النظرية التثقيفية فتنبعث حياة جديدة، تخرج القناعة عن كونها فقاعة، ويبعث العلم في شكل حياة؛ لينذر قارئ الدراسة نفسه لله، محررًا طاقاته لله؟

متى يركب سياسيو الجهاد خيل السياسة يخوضون غمارها بالحكمة والحنكة التي تخضع الأحناك المعادية كخضوع حنك الدابة لحَكَمةِ اللجام؟

متى يخوضون غمارها، محتسبين لله غرمها، مطَّهرين من أرجاسها، مقتحمين كل ميدان من ميادينها؟

---

(1) جهاد بلا سياسة ص٧.

متى يهبُّ الأخوة في الله ممن هم في خارج العراق يحملون معنا تبعات هذا الميدان، مقتحمين عتباته، مؤثرين الله والدار الآخرة، محتسبين الروح وما تلاها لما تلاها من ثمرات الجهاد والفتح المبين بإذن الله جل جلاله؟

متى يهب هؤلاء الأكارم على ميدان السياسة إعصارًا في شكل ريح ناعمة، وتيارًا عارمًا في صورة مياهٍ ساكنة، سلاحهم السياسة الشرعية من النصوص الشرعية ومصلحة المسلمين المرعية؟

قوتهم بعد قوة الله تعالى من قوة أخْوة الميدان، ضغطهم من ضغط جند الله على جند الشيطان، قد تفرغوا للعدو كما لم يتفرغوا له من قبل، ولسان حال مجاهدي الميدان لمجاهدي ميدان السياسة يقول: كنا ننتظركم ــ أيها القاطفون ــ منذ زمن، وسترون كيف نبذر لكم الأرض غرسًا تهتز له وتربوا وتزدان، فعلينا البذر ولكم القطاف.

فأبشروا بسنابل تندَّق لكثرتها مناجلكم، وثمار لا تستوعبها سلالكم؟

متى، ومتى ، ثم متى...؟)[1].

فنحن ولله الحمد لسنا بجهلة في السياسة أو أننا نحرمها مطلقًا إيهامًا بأنَّ من لم يوافق (المجلس السياسي للمقاومة العراقية) أنه يحرم السياسة أو ينفر منها أو أنه لا يفهم فيها.... أو يجعلوا الناس بين خيارين فإما أن توافق على كل أطروحاتهم السياسية وتدخل في مفاوضاتهم ومعاهداتهم أيًا كانت، وإما أنك جاهل بالسياسة! إما أن تفهم السياسة كما يفهمونها هم، وإما أن تكون من أهل الغلو المسترخصين للتكفير وللدم! عياذًا بالله من منهج سياسي يستبيح حدود الله في السياسة، ومنهج قتالي يستبيح ما حرم الله! ولذلك كان من غايات هذا الكتاب أن يسدَّ هذه الثغرة في هذا الميدان المهم والكبير، الميدان

(1) جهاد بلا سياسة ص ١٥٣ – ١٥٤.

المهجور وذلك بتأصيل الجانب السياسي تأصيلاً شرعيًا؛ ليخرج من يدعيه بغير تأصيل شرعي، ويخرج من ينفيه بغلوه وجهله...

وهذا ما يدفعنا لمساءلة أصحاب المجلس: أين بحوثكم الشرعية المؤصلة في هذا المجال الذي تزعمون ريادته؟!

ولو أننا كنا أربابًا لهذه المفاوضات، لكان لنا سعة في التوبة، وإعلانها على الناس بكتاب لو أننا غيَّرنا وبدلنا، وما ذلك إلا قَطْعًا لتتابع الإضلال والإثم الذي سوف نتحمله لو لم نعلن توبتنا لو أننا غيرنا وبدلنا، والحمد لله رب العالمين.

(وقبل الختام)

فإنَّ القلب مشفق من الله سبحانه على نفسه، وعلى إخوانه في المجلس، أن يستهين أحد منهم بعظمة النشدة بالله والاستحلاف به سبحانه وتعالى، وقد ذكر الله تعالى عن المنافقين بأنهم لا يبالون بمناشدة تعظيم الله، قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾. البقرة

لن يستطيع أحد اليوم أن يتملص من واجبه بعدما قرأ هذا المبحث، ذلك أنَّ المسلم لا يملك أن يقف موقفًا سلبيًا في أيِّ قضية... فكيف وهي قضية الإسلام والجهاد، قضية المصير في حرب الإسلام والصليب؟

لا لن يسعه ذلك ما دام شهد رسالة المجلس الأولى، فلابد أن يشهد الآخرة وهو هذا الكتاب، فإن كان في المجلس وسكت فهو ساكت على منكر، وهو جزء من قيادة ذلك المنكر، ومُمالئٌ على الإثم والعدوان. وإن كان جنديًا في فصائل المجلس فإنَّ وصف الجندية يعني أعلى درجات النصرة والتأييد.

ولن يستطيع هذا وذاك أن يصرف الحكم عن نفسه بحجة: أنَّ هذا يهاجم هذا، وهذا يكذِّب هذا! كما يحلو للبعض أن يبرر سلبيته.

فإنَّ أصعب الأحكام الشرعية مبني على مثل هذا كالقذف والملاعنة والقسامة والمباهلة وما إلى ذلك.

وإنَّ أمر براءتنا من بهتان المجلس رغم ظهوره لكل منصف، ولكل من يقدر النشدة بالله حق قدرها، فإنَّ البحث ما اقتصر على النشدة المجردة، ونقول للجميع انظروا إلى ما بين أيديكم من أدلتنا وكتبنا التي ما كتبت اليوم ولا أمس، والتي نشرت بعشرات الألوف من النسخ، فهل لمنصف عاقل تقي أن يُصدِّق بهتان المجلس السياسي في حقنا.

أما المسائل العلمية فانظروا في الأدلة التي استدل بها أصحاب المجلس السياسي في رسالتهم "شفاء العليل"، وانظروا كيف ظهرت بطريقة يجزم كل من اطلع على الجواب عليها أنَّ أصحابها ينبغي أن يكونوا أعظم ما يكونون ندمًا على إصدار هذا "الشفاء!" وإلا فبم يجيب هؤلاء على كل الأسئلة التي مرت؟ كيف يجيبون عن قصة شيخ الإسلام؟ عن تحديهم بوجود عالم واحد في القديم والحديث، وقد أتينا بهما؟ كيف يجيبون على استدلالهم بقصة موسى عليه السلام، كيف وكيف وكيف.

يا إخواننا: لقد حذرنا الله تعالى من التشبه بالمغضوب عليهم والضالين، وإنا لنؤمِّن على هذا الدعاء في كل صلاة من الصلوات، ولولا خطورة التشبه البالغة ووقوع بعض المسلمين بالتشبه بهم واتباع طريقهم ما جاء هذا الدعاء في كل صلاة﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

وإنَّ من صفات اليهود أنهم قوم بهت... فمهما كانت الحجة بالغة عليهم فإنهم يفرون منها وهم ينظرون، وإنَّ الحق أبلج وإنَّ الباطل لجلج.

فالمسلم لا يبهت الحق بعدما أبهر، أو يغطيه بعدما ظهر، أو يُسوِّده بعدما نوَّر...

فمن أنكر الحق وبطره فذاك هو المتكبر، وإنَّ ذرة واحدة من هذا النوع من الإنكار كفيلة بتعطيل صاحبها عن دخول الجنة... نعم ذرة! فقد صح في الحديث عن عبد الله بن مسعودٍ، عن النَّبي قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر). قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة. قال: (إنَّ الله جميل يحب الجمال. الكبر: بطر الحقِّ وغمط النَّاس)[1].

(1) أخرجه مسلم (١٧٩)، وأحمد ٤١٢/١، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٨)، وابن ماجه (٥٩).

كما أنَّ رد الحق بعد ظهوره كفيل بقطع رجاء الهداية، فهذا هو الظلم بحق، كما قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القصص: ٥٠).

وعن أبي برزة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال: (إنَّ مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم **ومضلات الهوى**)[١].

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: (إنَّ أخوف ما أتخوف عليكم اثنتين، طول الأمل، واتباع الهوى. فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق...)[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ذكر الله عز وجل الهوى في موضع من كتاب إلا ذمه [٣].

وقال إبراهيم النخعي رحمه الله : (لا تجالسوا أهل الأهواء، فإنَّ مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب، وتسلب محاسن الوجوه، وتورث البغضة في قلوب المؤمنين)[٤].

وقال الماوردي رحمه الله تعالى: إنَّ الهوى والشهوة يجتمعان في العلة والمعلول، ويتفقان في الدلالة والمدلول، **لكنَّ الهوى مختص بالآراء والاعتقادات**، والشهوة مختصة بنيل المستلذات، فصارت الشهوة من نتائج الهوى، ولذلك فإنَّ الهوى عن الخير صاد، وللعقل مضاد؛ لأنه يُنتِج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكًا، ومدخل الشر مسلوكًا، ولما كان الهوى غالبًا وإلى سبيل المهالك موردًا،

---

(1) أخرجه أحمد ٤/٤٢٠. وقال شعيب: رجاله ثقات رجال الصحيح.

(2) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/٥٣٠ رقم (٨٨١).

(3) ذم الهوى لابن الجوزي ١٢.

(4) الإبانة لابن بطة رقم ٣٨٠.

جُعل العقل عليه رقيبًا مجاهدًا، يلاحظ عثرته، ويدفع بادرة سطوته، ويدفع خداع حيلته، وذلك لأنَّ سلطان الهوى قوي ومدخل مكره خفي)[1].

يا إخواننا: أحذركم الإصرار بعد هذا البيان، فعن عبد الله بن عمرو بن العـــاص، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم، أنه قال وهو على المنبر: (ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويل لأقماع القول، **ويل للمصرين الذين يصرون علـــى مـــا فعلـــوا وهـــم يعلمون**)[2].

وأيُّ إساءة مثل الإساءة التي قدمها هؤلاء لأنفسهم ولصحبهم بهذا البيان **العاثر**، **فماذا أكثر من أن يتحدث المتحدث فيظهر الكذب عيانًا، فإنَّ الرائد لا يكذب أهله**.

ويروي فيظهر التزوير في رواياته.

ويستدل فيظهر أنَّ دليله عليه.

ويتعالم ويظهر جهله من حيث تعالم.

ويؤرخ لبعض الأحداث فيفتضح بالتزوير في التاريخ، ويؤول ما جاء عن الأنبياء وهم أبعد ما يكونون عما أراد، ويروي عن العلماء وينكشف أنه ما أراد من ذلك إلا التغرير بأسماء العلماء، وأما الحقيقة فقول العلماء الذين ذكرهم على الضد من قوله.

ومنذ فترة والناس ينتظرون من هذا المجلس كتابًا مؤصلاً في الجهاد أو بحثًا شرعيًا مؤصلاً في نوازلنا فلا يظهر إلا بهذا المستوى الذي رآه الناس... وعندها لا يملك المنتظر إلا أن يقول: إذًا يمد أبو حنيفة رجله. لا والله، فصاحب أبي حنيفة جاهل يعترف بجهله،

(1) بتصرف شديد من أدب الدنيا والدين ٣٨ – ٤٥.

(2) أخرجه أحمد ١٦٥/٢، وعبد بن حميد في "المنتخب" (٣٢٠)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٣٨٠)، والبيهقي في "الشعب" (٧٢٣٦). وصححه الألباني، وقال شعيب: إسناده حسن.

بدليل أنه سأل عما لا يعلم، فاستحق أبو حنيفة أن يرتاح ويمد رجله، أما هؤلاء فليس لهم هذا المثل.

ليست هذه المسألة مسألة كتابة للاطلاع، ولا هي بحث ورد على بحث!

إنما هي مسألة موقف ندين الله تعالى به، موقف لا يحتمل التفلسف ولا التأخير، فالمنكر منكر والمعروف معروف، والمنكر ليس له إلا أن يُغيَّر، وما من شيء أحب إلينا من أن يعودوا إلى سابق عهدهم، أما نحن فما ندين الله تعالى به فقد فعلناه وهو البيان، فليتق الله كل في مكانه.

وأخيرًا فإنَّ يقيننا والحمد لله بأنَّ بهتان المجلس بحقنا خير لنا، ونسأل الله أن يجعله خيرًا للجهاد والإسلام، فإنَّ نابتة سوء تحتث من فوق الأرض صلاح للأرض ومن عليها وتثبيت للمؤمنين وإعلاء لكلمة الله، وعزاؤنا الكبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾﴾ (النور).

وأخيرًا... اختيار أحد الفكين

حقًا يجب أن نجتمع ونتفكر مخلصين في خلاص بلادنا من فكي الكماشة الرهيب، من الانقلاب الشامل للبلد كله من السنة إلى الردة المجوسية أو الردة الصليبية، **فإلى أين الملتجأ؟**

وهنا جاءت الاجتهادات! هذا يقدِّم هذا الخيار وذاك يبطله، هذا يقول هؤلاء مسلمون وجيران وهم خير من الصليبيين، وذاك يقول: بل الأمريكان أهون خطرًا؛ لأنهم بعداء غرباء لا جذور لهم في البلد، فهم مهما طال بهم المقام فإنهم راحلون، ومهما

تداخلوا مع الناس فهم غرباء منبوذون، أما هؤلاء فإنَّ جذورهم بعيدة الغور والامتداد في البلد، وعملاءهم كثر، وجوارهم كفيل ببقائهم إلى الأبد، واجتماعنا معهم باسم الإسلام- والإسلام منهم براء- مع تقيتهم وتلبيسهم وجهل الناس وضعف استبانتهم سبيلهم كفيل بقبوله عند كثير من الناس، وتاريخ العشائر المتحولة يشهد، ودعمهم عملاءهم في الداخل وعدم نصرة الجيران السنة للسنة كفيل بالشعور بالخذلان والخيبة، وكثرة دعاتهم المتطوعين فضلاً عن المكلفين كفيل باستمرار الضغط، وشدة الفقر في بلدنا كفيل بنفاذهم عن طريق المال، ومن تذكر وضع إيران قبل الشاه الصفوي، وقارن بين ذاك الوضع السني لإيران ووضعه الآن علم أي خطر يواجه العراق، حتى أصبحنا نقول اليوم رحم الله دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسنته داخل إيران، هذا لمن يخطر بباله أنَّ إيران كانت سنية، ولا نريد أن تعزى بها أجيالنا القادمة داخل العراق.

هكذا أصبحت الفكرة عند أصحابنا مترددة بين الالتجاء إلى الفك الأعلى أم إلى الفك الأسفل... إلى أيِّ السيئتين.

وبهذا انقسم الأخوة في الجهاد، وما كان لهم أن ينقسموا بهذا السبب، بل ذاك دافع لهم لأن يتوحدوا أكثر، فإنَّ الخطر يوحد الفرقاء، وإنَّ القلة توحد الغرباء، أما أن ينقسم الأخوة في الجهاد بهذا السبب فهذا هو نذير الضياع الأكبر، وهو مراد الأعداء جميعًا.

فلنتدبر أمرنا اليوم.

ولمن أراد التفاوض وعقد المهادنات مع الأمريكان من الفصائل أن يتصور مصير الجهاد إذا لجأت فصائل أخرى إلى التفاوض والتعاون مع إيران مثلما يلجأ هو بفصيله إلى أمريكا... فما هو مصير العراق والعراقيين؟ سوف يتقاتل الاثنان بالنيابة عن عملائهم،

وسوف تكون حبوب الطحن لفكي الرحى هي رؤوس العراقيين، وسوف تذهب الريح وتحصد أرواح المجاهدين حصدًا!

حقيقة يجب أن نعترف بها، إنَّ اللجوء إلى طرف من الطرفين المتصارعين: أمريكا أو إيران أمر له عواقبه **الوخيمة** على كل الأصعدة، والأخطر هو اللجوء إلى الطرفين والانقسام بينهما، لكنَّ الأخطر من هذين الخيارين هو أن نجعل مسألة الجهاد قابلة للتفاوض أو المهادنة أو الإيقاف.

ففي أيِّ مرحلة من المراحل، مهما بدا النصر قريبًا، والتمكين محققًا، فلا ينبغي أن يكون الجهاد قابلاً للإيقاف، فلنتفق على ذلك.

حقًا إنَّ اللجوء لكل طرف أضرار عظيمة، والضرر الأعظم باللجوء إلى إيران بغير شك، لكنَّ الأخطر من كل الاحتمالات هو أن لا يكون قاسمنا المشترك هو الجهاد، وبعبارة أدق أن نختلف على الجهاد في سبيل الله، ونهرع إلى المجالات الأخرى.

تأكدوا أنه ستغلبنا كل الأطراف الداخلية والخارجية في الجوانب الأخرى جميعًا، سيغلبوننا بثقلهم الاقتصادي، ويغلبوننا بأثرهم وثقلهم الاجتماعي، ويغلبوننا بعلاقاتهم الخارجية، ويغلبوننا بخبرتهم السياسية، ويغلبوننا في مختلف المجالات، وهذه هي الحقيقة التي يجب أن نعرفها ونتعامل معها، فنعرف نقاط ضعفنا ونقاط قوتنا، ونعرف نقاط ضعف الآخرين وقوتهم. **لكنَّ نقطة قوتنا هي هذا الجهاد العظيم وبقاؤنا في ميدانه، فهو ميداننا الذي نركِّع كل هؤلاء فيه، ونحني رؤوسهم به خضعانًا، ولذلك فإنَّ كل الأطراف تحاول إخراجنا من ميداننا إلى خارجه؛ ليواجهونا في ميادين أخرى، يعلمون أنَّ الغلبة لهم فيها حتمًا... فحالنا وهذا الميدان كالسمكة التي لا يستطيع الصياد غلبتها حتى يخرجها من بحرها إلى اليابسة، عندها يسهل عليه تقطيعها أو تربيتها في حياضه.**

وكم هي التجارب أمامنا كثيرة ومريرة من حركات كانت رجالها تُهاب كما تهاب الأسود، فكانت الحيلة كيف نخرجهم من ميدان الأسود؟ كيف نقنعهم بأنَّ ما يطلبونه هناك موجود هنا، وبطريق أسلم وأقرب؟ كيف نأتيهم بأفكار من جنس ما يريدون؟ كيف نحول هذا التيار الهادر إلى حياض ماء ساكنة، ثم داكنة ثم عفنة؟

كيف نلبس هؤلاء زيًا أجمل من زيهم وأنعم، وذلك لن يكون إلا بعد ما نخلع عنهم زيهم؟ سيأبون نعم! يعاندون ويعترضون! فلنقنعهم بخلع قطعة واحدة من زيهم ونريهم أنها لا تؤذي ولا تفضح، ثم نلبسهم أزهى منها وأنعم وأبهى، ثم نخلع الثانية، وسوف يسهل الطلب أكثر عند خلع الثالثة، وربما بادر وحده بخلع بقية قطع زيه قطعة قطعة ولبس ما نريد، فإذا به إنسان آخر، وبنظارة جديدة!

عندها لن يستطيع العودة؛ بل سيكون أكبر داعية في إبلاغ ما نريد نيابة عنا، وفاءً للزي الجديد الذي عرف به، بالمنظار الجديد الذي يرى به!

يا إخواننا: حقيقة صعبة جدًا تلك التي عانينا من التفكير فيها كثيرًا... كيف السبيل في هذا الوضع الصعب؟

إلى أيِّ الأطراف الملتجأ في هذه الأرض... فلا الجار السني ينصرك، ولا العربي يؤيدك، ولا العالمي معك؟

أتلجأ للإيرانيين؟ إذا سيحققوا فيك ومن خلالك أطماع تاريخهم، ويفرغوا سمهم فيك وفي أجيالك، فيكون الوداع من بلدك؟ أم تلجأ للأمريكان وهم المغتصبون بالأساس، الذين ما جاءنا من شرٍّ إلا بسببهم، وهم من مكَّن المجوس، والذين بعد أن تلجأ إليهم ويستنفذوا أغراضهم منك يسلموك إلى المجوس كما فعلوا مع الصحوات؟

سوف تتمارى الأهواء أكثر بهذه الفصائل، وسوف يتنازع الناس الولاءات، وسوف يعود هذا على هذا- بعد مدة- بالعتاب، وبعد فترة سوف ينعكس العتاب على ذاك! وهكذا، لكن يبقى البصيص الأبدي هو بصيص هذا الجهاد الذي يستقي نوره من نور الكتاب والسنة، أما الأنوار الأخرى فهي كأنوار الشموع في الليل المظلم إذا هبت عليه الريح العاصف، فكل من أغرانا بالخروج من هذا الميدان للدخول في ميدانه فإنما ينفخ بفيه على هذا النور، ويوشك من أطفأ لأجل عدوه شمعة واحدة من شموعه أن يطفأ بقية الشموع.

يا إخواننا: إنا لندرك أنَّ ثمة مصالح قريبة، وثمارًا عاجلة تستحصل بالمفاوضات وعقد الاتفاقات مع الأمريكان بشكل خاص، -ندرك ذلك جيدًا- **لكننا ندرك كذلك أنَّ ذلك لن يكون إلا على حساب المبدأ، وثمنه ذهاب الثمرة العظمى، ذهاب الريح، وتخلي الله عنا وذهاب النصر الذي كنا نرجوه:** ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (هود).

ذلك على حساب تضييع كل ما بذلناه...

إنَّ ذلك يعني العودة القهقرى على الأدبار، والانتكاس على الرؤوس، وأن نصبح مَثَل السوء المنسلخ من آيات الله بعدما أوتيها على مدى الأجيال، وهو كالقبول بصورة نصر كشهادة مزورة عن النصر الفعلي والفتح المبين، أو القبول بدمية كبيرة بدلاً من الولد الحقيقي.

إنَّ رعاية هذا البصيص أمانة لا بد أن نحملها ونعليها حتى تتقد، وإن لم تتقد فعلينا أن نوصلها إلى من بعدنا؛ ليرى الله ماذا يصنعون...

ليست المسألة هي أن نختار... فإننا إذا ما رضينا الدخول في لعبة الخيارات، فقد رضينا أن نكون جزءًا من اللعبة؛ بل رضينا أن نكون نحن اللعبة.

يا إخواننا: إننا غير ملزمين أن نختار؛ لأننا نحن الخيار الذي لا خيار غيره، والجميع سوف يختارنا، إن ثبتنا على المنهج الحق والجهاد في سبيل الله، بعز عزيز أو بذل ذليل.

ولعبة الخيارات هي اللعبة الأخطر؛ لندخل القفص إن شئنا من هذا الباب، وإلا فمن هذا الباب! ويقف أحدنا محتارًا أي الاثنين يختار، فعند الانتخابات يوضع المجاهد بين خيارين إما الدخول إلى الانتخابات أو الدخول في الوزارة!

وبعد الانتخابات، إما وحدة العراق تحت ظل هذا الدستور، أو التصويت على تقطيع العراق!

وعند استلام المسؤوليات، إما دخول الجيش أو دخول الشرطة أو دخول العمل السياسي!

وعند المنافسات الانتخابية إما الدخول في حزب كذا أو حزب كذا؟! أو الدخول في تكتل كذا أو ندخل مستقلين!

وفي نفس هذا الفخ سقطتم يا أصحاب المجلس وأنتم لا تشعرون، وإلا فما مطلوبكم عندما قلتم: "إعادة التوازن إلى مؤسسات الدولة وأجهزتها ودوائرها" إلا شاهد منصوص على ما ذكرنا.

أهذا خيار شرعي أو منطقي؟! **هل هذه دولة يراد لها التوازن أم النسف؟** هل هذه منهجية تثبيت الواقع وإصلاح له وترقيع أم منهجية تغيير واستبدال!

لا نريد إعادة الكرَّة ثانية، ولكن لذكر الشاهد على ما ذكرنا، وتحذيرًا لإخواننا!

وعلى نفس هذه المنهجية يحاول أصحاب رسالة "شفاء العليل" أن يضعوا القارئ فيها، فهو واحد من خيارين: إما أن يختار العمل السياسي مع المجلس السياسي وإما أن يكون خارج المنهج الصحيح!

وإما أن تمارس السياسة بهذه الطريقة، وإما أنك قصير النظر جاهل لا تفهم في السياسة شيئًا!

وإما أن تؤيد المفاوضات بطريقتنا، أو أنك ضد القول بجوازها!

إما أن تهادن العدو وتوقع معه اتفاقات، أو أنك تنكر صلح الحديبية!

بهذه الطريقة يكون الجواب في كل مرة، هو الخيار الذي يختاره لك العدو أو من يمشي في ركابه...

خيارنا الذي يجب أن لا نختار عليه خيارًا، ولا نختار أيَّ خيار يضر به أقل إضرار هو خيار الجهاد في سبيل الله.

لم ير السَّعْدَان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما، أنَّ عليهما اختيار واحد من اثنين، إما هدنة مع هوازن وإما الهزيمة... لا هذا ولا هذا؛ بل هو الجهاد، وليقض لله قضاءه الحق، وكان إحقاق الحق بهذا الجهاد، وبه كان النصر المبين، فنحن الذين نختار الأرض التي نقف عليها لمواجهة العدو، ونحن الذين نختار مواضعنا، ونحن الذين نختار التوقيت الأنسب لبداية معركتنا.

يجب أن ننتبه أيها الأخوة، ونكون صادقين مع أنفسنا واضحين في تحليلنا، ولا نحلل ونعلل ونبرر ونستغفل: فنقول هذه الهدنة وهذه الاتفاقات ليست على حساب الجهاد! وليست لتأمين المحتل! وليس فيها إضعاف للعمليات! وليس فيها ضرب للجهاد! وليست في مصلحة العدو!

أو أنَّ إيران تغتاظ من هذه المفاوضات؟ أو أنها تضر بالمالكي؟ أو أنها أو أنها!

فهل من إنسان بلغ به الانخداع حتى أصبح يصدق هذه التعليلات التبريرية؟

أيمكن لعراقي وهو يشاهد خفوت جمرة الأعمال والعمليات الجهادية مقارنًا ذلك بما قبل بدء المفاوضات وبعدها أن يتردد لحظة في نسبة هذا الانخفاض إلى المفاوضات؟

المالكي يغتاظ من مفاوضاتكم مع العدو- كما ذكرتم ذلك- **وما ذلك إلا من منافسة أهل الدنيا على الدنيا، ومنافسة الأذلة مِن سبق غيرهم لهم في تقديم قرابين؛ خشية أن يسحب منهم التمكين، فوالله إنه لمن العار أن تفخروا بغيظ مفاوضاتكم للمالكي والحكومة العراقية العميلة!**

يجب أن نقطع هذه الشرانق الخادعة على عقولنا، ونعود إلى المتفق عليه، ونعلم أنَّ ميلنا إلى أيِّ طرف، هو ميل عن صراط الله المستقيم، الجهاد في سبيل الله، ميلٌ إلى الذين كفروا، أيًّا كانوا صليبيين أو مجوس.

الكل في هذا الوقت يتأهب لقطف الثمرة عند رحيل الأمريكان، كلٌّ أعد عدته وجمع صحبه وحزبه... وهكذا هرع المجلس كما هرع غيره نازلاً من حراسة ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من على جبل الرماة إلى السفح لعله يحظى بمتاع أو متعة...!

عودوا سريعًا قبل أن يلتف على أعناقكم الخناق، فيصعب عليكم الخلاص، ودِّعوا هذا المتاع الذي ترونه كثيرًا، فإنه قليل قليل، وانتظروا النصر المبين، فأين حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته وسنته من الجري- في وادي أُحد- وراء ثيابٍ تبلى وسيوف تصدأ، وطعام يفنى وبهيمة تموت...

عودوا إلى ذات الشوكة، فإنكم بغيرها مدافعون بغير شوكة، فكيف تدافعون؟!

هذه هي الدعوة الوسط، وليس الوسط هو ما ذكرتم وأشرتم له مرارًا وتكرارًا، فمرة بتأييد المفاوضات التي أثمرت المخازي وتبريرها والدفاع عنها، ومرة بتجهيل من لا يراها! فالوسط ليس أن تمسكوا طرف المفاوضات والاتفاقات، ولا هو الغلو والإيغال في دماء المسلمين وتكفيرهم بغير حق.

لا هذا ولا هذا، ولذا فإنَّ هذه الكلمة دعوة لكما على حدٍ سواء- أهل المفاوضات وأهل الغلو- أن تعالوا إلى كلمة سواء حيث تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، حيث يحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.

تعالوا إلى أن نكون كلنا الوسط ولا نريد أن نكون نحن مركزه بل كلنا مركزه والناس من حولنا...

تعالوا نعترف أننا أخطأنا ولا بأس، نتوب إلى الله، والله فرح بتوبتنا، تعالوا إلى سارية النصر المكفولة العلو والرفعة...

يا إخوتاه: لقد كفيناكم في مسألة التفاوض ببحثٍ شرعي متخصص اسمه "الجواب الكافي لمن نوى الهدنة مع العدو ظاهرًا أو خافي".

وفي مسألة البرلمان والوزارة "الحاسم".

وسيصدر قريبًا إن شاء الله بحث فيه نصح لأهل الغلو.

وبحثنا أهم النوازل في بلدنا، وستصدر تباعًا إن شاء الله تعالى، ولله الفضل، فمن كان له رد أو حوار فليرينا إياه، ووالله إنا لخاضعون بإذن الله إلى الحق.

يا إخواننا: تعالوا نتساءل: هل نختلف على الجهاد؟

الجواب: لا لن نختلف عليه، وقد قررتم ذلك في كتابكم "الشفاء" في أكثر من موطن.

إذًا فلماذا لا نجتمع على هذا المتفق عليه، ونترك المختلف فيه، وهو العز المضمون، والطريق الشرعي المأمون، والأخوة الجامعة؟!

وإذا أخذنا بطريق الجهاد، واجتمعنا عليه، ولم نحقق مكاسبه -لا قدر الله- فنحن معذورون؛ لأنه الأصل مع الكافرين، والنصوص فيه واضحة.

إنَّ المؤمن بحق هو من يتجاوز نظره سَورة غضبه على أخيه إلى سور الإسلام الفسيح، ويخرج من صولة الشيطان إلى مرضاة الرحمن.

يجب أن لا تكون الخلافات بيننا كما بيننا وبين أعدائنا.

ويجب أن لا تشغلنا تلك الأشياء عن النظر في النتائج.

فلنقرب الزمن في بصائرنا أكثر وأكثر، ولنتجرد لله أكثر وأكثر، وعندها سنرى أهمية ما ذكرنا، وخطورة ما نوثقه من علاقات وغيرها مع الأعداء، ونرى عظم العقل والحكمة وبُعْد البصيرة والمنة عندما نبني أعمال اليوم على النتائج التي نريد قبل أن تكون، وعندها سوف نسقط ما نستطيع من نقاط الاختلاف من بيننا، ونُسكت ما نستطيع من أصوات الشقاق، ونحيِّد ما نستطيع من أطراف النزاع، ونؤجل ما نستطيع من أسباب الصدام، ونستخرج ما نستطيع من خيوط الاتفاق فنجمعها ونفتلها ببعضها حتى تلتف وتتآلف وتستحكم حتى تصبح حبلاً واحدًا.

إنَّ هذا الكلام ما هو بالجديد، والمطالبة بالاتحاد أو الاتفاق ليست جديدة، لكن الجديد في هذه المرحلة هو اشتداد الخطر، واقتراب قطف الثمر، واتساع الهوة بيننا،

واحتدام الخصام، وطفوه على السطح، واستمراء السير مع العدو... وكل نقطة منها يفهمها أهلها، وعندهم عليها أدلة كثيرة وشهود.

نحن نعلم جيدًا أنَّ هذا الكلام لن يمرَّ بهذه المثالية، ذلك أنَّ نفسية التصيد من الكلام موجودة، وخصوصًا عند النصيحة الظاهرة، فسيأتي من يقول: ها أنتم تطالبون بالاتفاق ولا تتنازلون؟!

نحن والله أول المتنازلين عن كل نصيب دنيوي، وكل حظ وكل نصيب من هذه الدنيا... لكننا لا نريده اتفاقًا كيفما اتفق! اتفاقٌ منهجيةُ التحايل بالخفاء تحركه!

لا نريد اتفاقًا على حساب النصوص الواضحة البينة! عياذًا بالله من اتفاق على نفاق، أو توقيع على تخريق أو ترقيع.

أيمكن أن نتفق على الهلاك، باسم الاتفاق؟ أم يصح أن نسكت على انتحار الجهاد من ذراه إلى وادي الأفاعي والثعالب والضباع والكلاب؟

نحن لا نغير الحقيقة بتصوير القلم للألم، بل الألم في القلب أكبر، لأنَّ المصير الذي نراه إن سارت الأمور على ما هي عليه أخطر وأكبر...

ها قد رأيتم كيف رددتم علينا في رسالتكم هذه "شفاء العليل"، وما كان ردنا عليه إلا بمقدار الضرورة، ولم نُرد التوسع والتفصيل، لأنَّ السكوت يعني إقرارنا بما حرَّم الله، وهو السير مع العدو، وتغرير بمن يعتقد صحة رأينا، وتلبيس عليه.

لكننا نسأل الله تعالى أن يعيننا والجميع على أن يكون هذا هو نهاية مطاف الردود، وأن لا نضطر لفتح ملفات تسوِّد الوجوه.

إنَّ الذي يريدنا على اتفاق معه، وفيه اتفاق على إيقاف جزئي للعمليات في بعض الأوقات أو بعض المناطق، وما يتبع ذلك من حراسات ونحوها، وما يستلزمه من مقاومة

لمن يخرق هذه الهدنة من إخواننا في الإسلام... إنَّ الذين يدعونا لاتفاق كهذا كأنما يدعونا إلى ما حذرنا الله منه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (آل عمران).

ليس هذا من قبيل التذرع بالنصوص لرد كل محاولة إصلاح؛ بل هو من أجل اتفاقنا على النصوص، وتصويبنا إن أخطأنا في فهم النصوص، ومن ثم فهو الطريق الصحيح لتآلف لو أُنفق ملئ الأرض ذهبًا ما أُلف مثله بإذن الله.

لا ينبغي أن نيأس من إصلاح حقيقي جديد مهما اختلفنا من قبل، ومهما فشلت اتفاقات سابقة، فإنَّ العلم نور، والدليل واضح، ولا يضل من طلب الحق بإخلاص.

ها قد مرت الأيام منذ خروجنا من المجلس حتى هذا اليوم، ونحن اليوم نرى إخواننا قد أبعدوا في السير مع القوم، وهم لم يدركوا بعد إلى أيِّ قاع محيطٍ يسار بهم، فرحين بالريح الرخاء وبموعود الرخاء!

يا إخواننا: أرأيتم رجلاً غرَّه رسوُّ حافة لسفينة على ضفة البر، فوضع رجلاً في السفينة، ورجلاً على اليابسة، وظن نفسه متمكنًا من نفسه ممكنًا قدمه... لكنه ما علم أنَّ السفينة آخذة بالابتعاد شيئًا فشيئًا، وهو لا يزال يمنِّي نفسه برسوخ القدم، وتمكُّنه من العودة، إذا ابتعدت السفينة أكثر، ولا تزال تبعد عن الساحل حتى أصبح صاحبنا المجازف مجافي الرجلين، رجل على البر وأخرى على السفينة، وبعد هنيهة أصبح مخيرًا بين السقوط في البحر أو ركوب السفينة، لأنَّ السفينة أخفض من الساحل قليلاً، هذا هو مثل إخواننا.

يا إخواننا: إنكم أحوج أن تعودوا إلى البر الذي كنا عليه من أن تدعوننا للركوب في السفينة، فضلاً أن تهاجمونا، لأننا هتفنا بكم، خوفًا عليكم من هذه السقطة، ويالها من سقطة!

أما أنتم يا إخواننا الذين أصابتكم لوثة الغلو وما كانت فيكم بهذا المستوى عند انطلاق شرارة الجهاد: ففكروا مليًّا... أيُّ شيء تنقمون علينا؟ هل تركنا نحن الجهاد؟ هل تتهموننا بإعانة العدو عليكم أو على غيركم؟ هل تتهموننا بالدخول في الصحوات؟ هل تلوثت أيدينا بدم مسلم منكم أو من غيركم؟ هل تتهموننا بتبادل المناطق مع العدو؟ أم تتهموننا بالولاء لإيران؟ أم تتهموننا بالجهل؟

أجيبوا.. وتفكروا...

فأنتم وغيركم تعلمون أننا برءاء من كل ذلك، والفضل لله، فانظروا إلى ما يتهمكم أهل الخير به، وعندهم على كل مخالفة شرعية أدلة وشهود.

إننا حين سألناكم ما الذي تنقمونه علينا، وقد ثبتت براءتنا، فإننا رجونا أن تصلوا إلى نتيجة واحدة لا غير هي: أنكم إنما تتبعون أهواءكم!

فإلى متى ستبقون مصرين على هذا الحال الذي لا يوافق عليه كتاب ولا سنة ولا أهل العلم؟ لماذا تحاكمون الناس إلى حكمكم وإلى مواقفكم وكأنَّ الحق المطلق معكم؟ لماذا لا تقتربون من الناس إلا بقدر موافقتهم لكم أو بقدر ما يمكن أن تستخدموهم؟

أما تكفي كل هذه السنوات، لأن تقيِّموا منهجكم، وتقوِّموا أخطاءكم، وتعرفوا شرع الله الواضح في كل أمر من أموركم؟

وأخيرًا فإن لم يجد الأتباع إذنًا من القادة، وأصرُّوا على الباطل إصرارًا، وأصرُّوا على السير نحو الهاوية، فيجب على كل تابع لكل فصيل أن يعلم أنه لن يعذر شرعًا إن ترك اتباع الحق لأجل قول فلان، وموقف فلان، وخاطر فلان.

يجب على كل تابع أن يعلم أنه قد مرَّ ما يكفي من الوقت على الفصائل لاختبار علمها وعملها واتباعها للحق من اتباع أهوائها، فهل يعذر بعد هذا الوقت كله تابع إن أصرَّ على خطئه أو خطأ قادته وأصحابه؟

أيها الأتباع: والله لو فعل القائد كبيرة كشربه الخمر، واستقام على المنهج الحق لكان أهون من أن يعفَّ عن ذلك وينحرف ويُحَرِّف المنهج، فيضل بضلاله الأتباع والجند، ويذهب بانحرافه مستقبل الجهاد ويضيع البلد، فنحن نحتاج إلى أن نصحح موازيننا الشرعية من جديد؛ لنتمكن من الحكم الصحيح، وعندها سوف نعرف مقدار الخطيئة التي نرتكبها- كأتباع- باتباعنا هؤلاء الأفراد المعدودين المنحرفين منهجيًا المصرِّين على ذلك.

هذا والله خطاب نريد به البراءة عند الله سبحانه، والإعذار إليه، لذا نوجهه لكل الأتباع **وأولهم أتباعنا**، ولا فرق عندنا في مناصحة أتباعنا لنا من أتباع غيرنا أو قادتهم... فيلقدم لنا كل واحد عنده نصيحة بدليلها الشرعي الراجح **ونحن خاضعون للحق**...

فإن قال الآخرون: وأنتم قدموا لنا نصحكم بالدليل الشرعي الراجح، قلنا قد قدمناه بحمد الله في البحوث الشرعية التي تعرفونها...

فماذا ننتظر وماذا تنتظرون؟[1]

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) ربما تمنى البعض أن يكون كل البحث بالأسلوب الرقيق الذي انتهى به، وهذا ما نتمناه ولكن لولا تميز الأسلوب الأول بالشدة لما تميز آخر البحث بالرقة، ولولا ظلمة الليل لما أبهر الخلق الفجر، وقد ذم الله السرمد ليلاً كان أم نهارًا. ولأنَّ موضوع أول الكتاب كان حوارًا حول أمور محددة يجب القطع فيها، وغاية الأسلوب الأول والثاني واحدة وهي الوصول بالأخوة إلى الحق بكل أسلوب نستطيعه بالرفق أو الشدة وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُرغِّب ويُرهِّب.

فاللهم اهدنا واهد إخواننا.